تفسير القرآن الكريم بمكتشفات العلم التجريبي فى الميزان

بحث من إعداد

د/ أسامه أحمد منصور مؤمن

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل لـه ومـن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمـد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ،،

فإن تفسير القرآن الكريم بمكتشفات العلم التجريبى أو ما اشـتهر بـ (التفسير العلمى) موضوع هام شغل بال كثير من القراء والدارسـين واختلفت فيه آراء العلماء والباحثين، وكثر فيـه التـأليف بـين مؤيـدين ومعارضين. وقبل استعراض هذه الآراء يحسن إلقاء نظرة علـى نشـأته وتعريفه.

نشأته:

من الصعوبة بمكان تحديد نشوء الأفكار والمذاهب فهى غالباً مـا تحتاج إلى زمن تختمر فيه الفكرة وتجتمع لها الأدلة ويكثر المؤيدون ثـم يشتهر أحدهم بإظهارها وإبرازها وليس بالضرورة أن يكون هو صاحبها وأن تكون هى من بنات أفكاره، لكن يكون هو الذى التقطها حين أعجـب بها فذكرها ونشرها ودافع عنها، فنسبت إليه ونقلت عنه.

ومنزع هذا النوع من التفسير القرآنى الكريم قديم. ويشتهر عنـد الدارسين أن الإمام الغزالى المتوفى سنة (٥٠٥هـ) من أوائل المتكلمـين فى هذا النوع والمستوفين للكلام فيه إلى عهده حيث بسط القول فى هـذا الموضوع فى كتابه (إحياء علوم الدين) ، وكتابه الآخر (جواهر القرآن)

فعقد فى أولهما باباً فى (فهم القرآن وتفسيره بالرأى مـن غيـر نقل) ذكر فيه بعض الآثار والأقوال التى تظهر ما يريده من أن فى القرآن إشارة إلى مجامع العلوم كلها وأن (كل ما أشكل فهمه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ففى القرآن إليـه رمـوز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها.[1]

---

[1] إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى (٢٩٠/١)

وفيه ينقل عن بعض العلماء قوله (إن القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذا لكل كلمة ظاهر، وباطن وحد ومطلع) .

وهذا القول المجمل والإحصاء العددى بعيدا عن صحته من عدمها دليل على تقدم هذا المنزع وأنه أسبق من الغزالى. وينقل عن بعض العلماء الآخرين قولهم: (لكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر)

بل يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يرفع هذا المسلك إلى الصحابة فينسب للإمام على -رضى الله عنه- بأنه قال: (لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب)[١] ، فكم نسب للإمام على من قول؟ وما الذى منعه رضى الله عنه أن يفعل؟

ويزيد الإمام الغزالى هذه الفكرة تفصيلا وبيانا فى كتابه جواهر القرآن فيعقد فيه فصلاً يبين فيه كيفية انشعاب العلوم من القرآن ويقسم علوم القرآن إلى قسمين:

الأول: علم الصدف والقشر وجعل من مشتملاته علم اللغة، وعلم النحو، وعلم القراءات وعلم مخارج الحروف وعلم التفسير الظاهر.

الثانى: علم اللباب وجعل من مشتملاته علم قصص الأولين، وعلم الكلام وعلم الفقه وعلم أصول الفقه والعلم بالله واليوم الأخر والعلم بالصراط المستقيم وطريق السلوك.[٢]

ويتوسع الغزالى فى كلامه بعد ذلك فيعقد فصلاً يبين انشعاب سائر العلوم الأخرى من القرآن الكريم وتفرعها عنه فيذكر علم الطب والنجوم وتشريح أعضاء الحيوان وعلم السحر وغير ذلك ثم يختم هذا التفصيل بإجمال يحيط بما ترك فيقول: (وراء ما عددته علوم أخرى يعلم ترجمتها ولا يخلو العلم عمن يعرفها ولا حاجة إلى ذكرها) ثم قال فأطنب فى تأييد هذا المسلك والمذهب.

وما ذكره من عبارات وأقوال يوحى لنا بوجود صلة بين هذا المنزع فى التفسير وبين التفسير الإشارى القديم. ثم يتأيد هذا المنهج

---

[١] المصدر السابق

[٢] جواهر القرآن ص(٢١) وانظر التفسير والمفسرون للذهبى ٤٧٥/٢

بالفخر الرازى (ت ٦٠٦هـ) بما ذكره من استطرادات فى تفسيره حتى قيل عنه نقدا لهذا المسلك: فيه كل شئ إلا التفسير.

وجاء بعد ذلك جمال الدين الزركشى (ت ٧٩٤هـ) فنصره فى كتابه البرهان فى علوم القرآن بما أورده من نقول وما عقده من فصول حيث عقد فصلاً بعنوان: (فى القرآن علم الأولين والأخرين)[١]

ثم جاء الإمام جلال الدين السيوطى فقرر ذلك وتوسع فيه فى كتابه الإتقان فى علوم القرآن، وكتابه الأخر: الإكليل فى استنباط التنزيل. وساق للاستدلال على ذلك بعض الآيات والآثار. ونقل نصاً عن أبى الفضل المرسى يؤيد به ما ذهب إليه من احتواء القرآن على سائر العلوم.[٢]

فنخلص مما سبق إيجازه بأوجز منه وهو أن منشأ هذا المسلك قديم وأن تحديد البدء عسير غير يسير.

تعريفه:

عرفنا فيما سبق قدم جذور وأصول هذا النوع من التفسير وأنه تحيز وتميز فى هذا العصر بشكل أكثر وأظهر.وقد التمس بعض الباحثين تعريفا لهذا النوع، ومعلوم أن التعريف ينبغى أن يكون جامعاً مانعاً يعرف منه ما يدخل فيه وما يخرج منه .

وممن التمس لهذا النوع تعريفاً الأستاذ أمين الخولى حيث قال عنه بأنه (التفسير الذى يحكم الاصطلاحات العلمية فى عبارة القرآن ويجتهد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها)[٣]

وقد نقل هذا التعريف الشيخ محمد حسين الذهبى فى كتابه التفسير والمفسرون[٤] ، واختصره آخرون. وتأثر به غيرهم فقد عرفه الشيخ محمد الصباغ بـ (أنه تحكيم مصطلحات العلوم فى فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية)[٥]

---

[١] انظر: البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١٨١/٢

[٢] انظر: الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٣٠/٤

[٣] التفسير/ نشأته، تدرجه، تطوره" أمين الخولى ص ٤٩- دائرة المعارف الاسلامية ٤٢٠/٩

[٤] انظر التفسير والمفسرون ١٤٠/٣

[٥] انظر: لمحات فى علوم القرآن واتجاهات التفسير- محمد الصباغ ص ٢٠٣

والتعريف لهذا النوع من التفسير يتأثر بموقف المعرف له منه تأييداً أو رفضاً فالخولى والذهبى من المنكرين لهذا النوع فكان هذا التعريف متأثراً بهذا الموقف.

ومن هنا تتوجه له بعض الانتقادات منها: قصوره ، وقسوة لفظة (التحكم) فى التعريف. كأن كل تفسير علمى كذلك مع ما توحى به من أن الآية المراد تفسيرها لها معنى آخر غير المعنى العلمى المراد منها أن تدل عليه.[١]

وعرفه الدارس عبد الله الأهدل فى رسالته: التفسير العلمى دراسة وتقويم – بعد انتقاده للتعريف السابق بأنه (تفسير الآيات الكونية الواردة فى القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث بغض النظر عن صوابه وخطئه) ليشمل التفسير الصحيح والتفسير الخاطئ.[٢]

وقوله (بغض النظر عن صوابه وخطئه) لا ينبغى أن تكون من التعريف لأن عموم ما قبلها يشملها .

وقد عرض الدكتور فهد الرومى لهذا التعاريف وتعرض لها بالنقد فى كتابه: اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر الهجرى، وخرج بتعريف آخر فقال:

(والذى ظهر لى –والله أعلم– أن التعريف الأقرب إلى أن يكون جامعاً مانعا أن يقال: المراد بالتفسير العلمى: هو اجتهاد المفسر فى كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبى على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان)

– ثم شرح عبارات تعريفه بقوله:

(ولاشك أن وصفه بـ (اجتهاد المفسر) يدخل فيه التفسير العلمى المقبول والمرفوض لأن المجتهد قد يخطئ وقد يصيب. وقولنا (الربط) ليشمل ما هو من قبيله كالاستئناس بالآية فى قضية من قضاياه ونحو ذلك.

---

[١] انظر: اتجاهات التفسير فى القرآن الرابع عشر الهجرى–فهد الرومى–٢/٥٤٨
ورسالة التفسير العلمى للقرآن الكريم، دراسة وتقويم عبد الله الأهدل.

[٢] التفسير العلمى للقرآن الكريم– دراسة وتقويم عبد الله الأهدل ص ١٥

وقولنا (العلم التجريبى) يخرج بقية العلوم الكلامية والفلسفية ونحوها ، وقولنا (على وجه) لبيان ثمرته. وقولنا (يدل على مصدره) نقصد به أنه ما ثبت هذا التوافق بين نصوص القرآن الكريم وحقائق العلوم ولم يقع أى تعارض بين نص قرآنى وحقيقة علمية مهما كانت جدتها وحداثتها فإنه لا يمكن أن يقول مثل هذه النصوص بشر قبل اكتشافها بقرون ولابد من أن يكون المتكلم بها هو موجد هذه الحقائق ومكونها وهو الله سبحانه وتعالى. وقولنا (وصلاحيته لكل زمان ومكان) نقصد به أنه صالح لكل عصر وأوان.

هذا ما ظهر لى الآن . (والله أعلم) أ.هـ.[١]

ولا يخلو هذا التعريف الذى ذكره الدكتور الفاضل فهد الرومى من وجهة نظر ففيه طول ، وفى وصف الآيات القرآنية بالكونية تضييق لمجاله. كما أن لفظة (الربط) الواردة فى شرح التعريف لم ترد فى عبارات التعريف نفسه ولعل المراد لفظة (الصلة)

ولعل التفسير الأيسر والأخصر والذى ينبغى أن يكون عليه الحال أن يقال عنه بأنه (تفسير القرآن الكريم بحقائق العلم التجريبى)

لكن ربما أراد المعرفون الآخرون له تعريفه على ما عليه لا تعريفه بما ينبغى أن يكون عليه.

مذاهب الناس فى هذا النوع من التفسير:

تنوعت مذاهب العلماء والدارسين فى هذا النوع من التفسير واختلفت مواقفهم منه بين مؤيدين ومعارضين على وجه الإطلاق أو التقييد حتى أنه ليكاد يكون لكل واحد رأيه الخاص به بما يضيفه من شروط ويذكره من قيود.

وقد قسمت الدكتورة هند شلبى مواقف العلماء تجاه هذا الموضوع إلى أربعة أصناف:

١- المعارضون مطلقاً مع عدم التحيز إلى العلم.
٢- المعارضون مطلقاً مع التحيز إلى العلم.
٣- المؤيدون مطلقاً.
٤- المؤيدون المحترزون.[٢]

---

[١] اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر الهجرى للدكتور فهد الرومى ٢/٥٤٩

[٢] انظر: التفسير العلمى للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق–د. هند شلبى ص ١٦

وبعيداً عن كثرة التشعيب والتقسيم سوف أعرض لآراء العلماء مقسما لها إلى نوعين: المعارضين لهذا التوجه والمؤيدين له .

١-المعارضون:

المعارضون لهذا التوجه فى التفسير كثيرون قدماء ومحدثين منهم:

١) أبو حيان الأندلسى (ت٧٤٥هـ) فى البحر المحيط.
٢) أبو إسحاق: إبراهيم بن موسى الشاطبى (ت٧٩٠هـ) فى الموافقات.
٣) محمود شلتوت فى: تفسير القرآن الكريم ، ومجلة الرسالة.
٤) أمين الخولى: فى التفسير نشأته، تدرجه، تطوره، وفى دائرة المعارف الاسلامية.
٥) محمد حسين الذهبى: فى التفسير والمفسرون.
٦) محمد عزة دروزة: فى التفسير الحديث.
٧) شوقى ضيف: فى تفسير سورة الرحمن وسور قصار.
٨) محمد رشيد رضا[١]: فى تفسير المنار.

---

[١] عده الدكتور فهد الرومى فى كتابه القيم اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر ٥٦٧/٢ من المؤيدين لهذا التوجه فى التفسير.

وعده الدكتور عبد المجيد المحتسب فى كتابه اتجاهات التفسير فى العصر الراهن ص (٣٠٢) من المنكرين لذلك . وبتأمل ما ساقه كل منهما من نصوص استشهد بها على مراده يظهر أن الشيخ رشيد رضا وإن كان تلميذاً للشيخ محمد عبده أنه أقرب إلى الإنكار منه إلى التأييد ومن عبارة الدكتور فهد يظهر أن رشيد رضا يجعل هذا نوعاً من أنواع إعجاز القرآن . وقد سبق أن فرق لنا الدكتور فهد بين التفسير العلمى والإعجاز العلمى للقرآن وأن الثانى مسلم به دون نكير . بخلاف الأول .

ثم إن الشيخ رشيد رضا قد نعى على المتوسعين فى مباحث الأعراب وقواعد النحو ونكت المعانى وجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين بحيث حجب هذا التوسع أثر القرآن وصد عن قصده .

وانتقد الفخر الرازى فى مسلكه ثم قال : " وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولاً طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن ، نعم إن أكثر ما ذكر من وسائل فهم القرآن : فنون العربية لابد منها واصطلاحات الأصول وقواعده الخاصة بالقرآن ضرورية كقواعد النحو والمعانى وكذلك معرفة الكون وسنن الله تعالى فيه كل ذلك يعين على فهم (القرآن). تفسير المنار ٧/١،ط ٤ .

٩) عباس محمود العقاد: فى الفلسفة القرآنية.
١٠) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) فى :القرآن وقضايا الإنسان.
١١) محمد كامل حسين: فى الذكر الحكيم.
١٢) صبحى الصالح: فى معالم الشريعة الاسلامية.
١٣) أحمد محمد جمال: فى كتابه:على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب.
١٤) عبد المجيد المحتسب: فى اتجاهات التفسير فى العصر الراهن.
١٥) أحمد الشرباصى: فى قصة التفسير.
١٦) إسماعيل مظهر: فى عدة مقالات له فى جريدة الأخبار.[١]
١٧) سيد قطب: فى ظلال القرآن.[٢]

وهؤلاء المعارضون تختلف عباراتهم فى قسوة انتقادها لهذا التوجه بين متشدد ومعتدل ويجمعها كلها الرفض له، والاعتراض عليه وعدم القبول به.فقد عد أبو حيان فى معرض نقده للفخر الرازى -توسع العلماء فى مباحث العلوم الأخرى عند تفسير القرآن الكريم، فضولا فى العلم. وقسى فجعله: (من التخليط والتخبيط فى أقصى الدرجة)[٣]

---

[١] جريدة الأخبار فى ١٩٦١/١١/١٧م وانظر الفكر الدينى فى مواجهة العصر-د. عفت محمد الشرقاوى-ص٤٢٥ وانظر:

١- اتجاهات التفسير فى القرآن الرابع عشر الهجرى-فهد الرومى ٥٧٨/٢ - ٦٠٠
٢- اتجاهات التفسير فى العصر الراهن- د. عبد المجيد المحتسب ص. ٢٩٥.

[٢] أفاض سيد قطب - رحمه الله - فى الحديث عن هذا . فقد وصف حقائق القرآن الكريم بأنها نهائية ووصف ما يصل إليه الإنسان ببحثه وجده بأنها حقائق غير نهائية ولا قطعية وجعل تعليق الحقائق القرآنية النهائية بحقائق غير نهائية ولا قطعية خاصة تعليق تطابق وتصديق خطأ منهجى هذا إذا كانت حقائق . وأما إذا كانت فرضيات ونظريات فإضافة إلى خطئها المنهجى فإنها تنطوى وتوحى بمعان غير مقبولة فهى توحى بـ :

١- الهزيمة الداخلية التى تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع .
٢- سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته .
٣- التأويل المستمر مع التمحل والتكلف لنصوص القرآن كى تحمل ويلهث بها وراء الفروض والنظريات المتعددة والمتغيرة .

لكنه مع هذا الرأى أيد الانتفاع بالكشوف العلمية فى توسيع مدلول الآيات القرآنية وتعميقها .

[٣] البحر المحيط ٣٤١/١

وأعلن أمين الخولى معارضته لهذا التوجه فى رسالته الصغيرة عن التفسير بمبحث عنونه بـ (إنكار التفسير العلمى) نبه فيه على قدم هذا الاتجاه، وقدم معارضته والاعتراض عليه.

ومثله فعل الشيخ محمد حسين الذهبى[١]

وعد الأستاذ عباس محمود العقاد مؤيدى هذا الصنف من التفسير (من الصديق الجاهل لأنهم يسيئون من حيث يقدرون الإحسان ويحملون على العقيدة الإسلامية وزر أنفسهم وهم لا يشعرون)[٢]

وقالت الدكتورة / عائشة عبد الرحمن بأن هذا المسلك ضحك على العقول ببدع من التأويلات تقدم للناس من القرآن كل علوم الدنيا وعصريات التكنولوجيا.[٣]

ويقول د. شوقى ضيف: (وقد تلت الشيخ الإمام (محمد عبده) تفاسير كثيرة منها ما اهتدى بهديه ومنا ما خاض فى مباحث علمية كنت ولاأزال أراها تجنح عن الجادة إذ القرآن فوق كل علم. ومن الخطأ أن يتخذ ذريعة لإثبات نظريات علمية فى الطبيعة والعلوم الكونية والفلكية وهو لم ينزل لبيان قواعد العلوم ولا لتفسير ظواهر الكون وما ذكر فيه من خلق السموات والأرض والأفلاك والكواكب إنما يراد به بيان حكمة الله وأن للوجود خالقاً أعلى يدبره وينظم قوانينه ولا ريب فى أن القرآن يدعو أتباعه دعوة عامة إلى العلم والتعلم للعلوم الرياضية الطبيعية والكونية. ولكن هذا شئ والتحول بالقرآن إلى كتاب تستنبط منه النظريات العلمية شى آخر لا يتصل برسالته ولا بدعوته. إنه دين الهداية البشرية يزخر بما لا يحصى من قيم روحية واجتماعية وإنسانية وحسب المفسر أن يعنى ببيان ما فيه من هذه القيم ومن أصول الدين الحنيف وتعاليمه التى أضاءت المشارق والمغارب أضواء غامرة.[٤]

وقد وصف محمد كامل حسين هذا النوع من التفسير بأنه (بدعة حمقاء) بل جعل هذا الوصف وسما لفصل هو (التفسير العلمى بدعة

---

(١) التفسير والمفسرون ٣/١٤٠

(٢) الفلسفة القرآنية ص ١٦

(٣) القرآن وقضايا الإنسان. د. عائشة عبد الرحمن ص ٤٢٦

(٤) سورة الرحمن وسور قصار. د. شوقى ضيف ص ١٠

حمقاء) وقال عنه مرة أخرى بأنه (التفسير الحرباوى) إشارة إلى تغيره بتغير العلوم كما تغير الحرباء جلدها.

بل قسى وبالغ فجعله دليلاً على ضعف إيمان الذاهبين إليه والقائلين به حين قال:

(.. والذين يفسرون الآيات الكونية تفسيراً علمياً يدلون بذلك على ضعف إيمانهم ولو كانوا مؤمنين حقاً ما كانت بهم حاجة إلى شئ من ذلك يقوى به إيمانهم فليس مقصوداً بالآيات الكونية غير الوعظ والتفسير الحق الذى يقربها من أذهاننا تقريبا يؤدى إلى الموعظة والعبرة وكل ما تعمق فى تصويرها واقعياً هو بدعة حمقاء)[١]

أدلة المعارضين وأسباب المعارضة:

يقدم المعارضون بعض الاستدلالات، ويوردون بعض التخوفات والاعتراضات لمنع هذا النوع من التفسير، يمكن جمع أظهرها بالآتى:

أولاً: إن للتفسير شروطاً وقيوداً وضوابط يسير عليها قررها العلماء ينبغى لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يكون قد عرفها وأحاط بها ليأتى الأمور من أبوابها.فلا يكون القرآن الكريم حمى مباحاً لكل من حصل علما وحفظ شيئاً ونسى أنه قد غابت عنه أشياء.

ومن شروط ذلك التمكن من العربية فتفسر ألفاظ القرآن الكريم بما تدل عليه لغة العرب، دون تزيد فى تحميل الألفاظ ما لا تحتمله فيستنبط منها ما لا تدل عليه ولا ترشد إليه فلألفاظ معانيها المحددة ودلالاتها الخاصة التى وضعت لها وهذا يمنع التوسع العجيب فى فهم ألفاظ القرآن وجعلها تدل على معان وإطلاقات لم تعرف لها ولم تستعمل فيها. أو إن كانت تلك الألفاظ قد استعملت فى شئ منها فباصطلاح حادث فى الملة بعد نزول القرآن بأجيال.[٢]

ثم إن هذا التفصيل العلمى المستقى من العلوم فى عهودها المتأخرة هل هو من مدلولات ألفاظ الآيات أولا؟

---

(١) الذكر الحكيم-محمد كامل حسين-ص ٥٩ واتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر-د. فهد الرومى ٢/٥٨٨

(٢) التفسير: نشأته ، تدرجه، تطوره، أمين الخولى ص ٦٠

إن كان من مدلولات ألفاظ الآيات فكيف لم يفهمه العرب الخلص الذين نزل عليهم وبلغتهم. وإن كانوا فهموه فلماذا لم تقم نهضتهم العلمية التجريبية على هذه الآيات الشارحة والمفصلة لهذه الحقائق والنظريات العلمية المفهمة لدقائها.

وإن كانت لم تفهم منها ولم تدل عليها ولم يدركها أصحاب اللغة الخلص فى زمن نزولها-كما هو واقع الحال- فكيف تكون هى معانى القرآن المرادة له والمقصودة منه؟ وكيف يصح تفسيره بها.

وأين بلاغة القرآن حينئذ والبلاغة كما يقولون هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال.[١]

(والقرآن الكريم قد نزل بلسان العرب على قوم يفهمونه وأمر الله نبيه-صلى الله عليه وسلم- بشرحه وتبيانه والنظريات الحديثة لم تكن معلومة ولا مكشوفة ولا يصح لمسلم مهما حسنت نيته أن يدعى أن النبى-صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف جميع ما تضمنته آيات القرآن.[٢]

وليس فيما ورد عن النبى -صلى الله عليه وسلم- ولا فيما ورد عن أصحابه ما يؤيد هذا الاتجاه أو يدل عليه.[٣]

ثانياً: أن القرآن الكريم إنما هو كتاب هداية للبشرية كما قال جل وعلا:

(إن هذا القرءان يهدى للتى هى أقوم) (الاسراء: ٩)

وليس بكتاب تفصيل لنظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف من فلك وطب وهندسة وخلافها وأن تطلب تفصيل ذلك فى القرآن الكريم إنما هو سوء فهم لطبيعة هذا القرآن ووظيفته.

(فلا حاجة بالقرآن الكريم إلى مثل هذا الادعاء لأنه كتاب عقيدة يخاطب الضمير وخير ما يطلب من كتاب العقيدة فى مجال العلم أن يحث على التفكير ولا يتضمن حكماً من الأحكام يشل حركة العقل أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع حيثما استطاع. وكل ذلك مكفول للمسلم فى كتابه كما لم يكفل قط فى كتاب من كتب الأديان)[٤]

---

(١) التفسير- نشأته-تدرجه-تطوره-أمين الخولى ص ٦٠

(٢) التفسير الحديث -محمد عزة دروزة ٧/٢

(٣) اتجاهات التفسير فى العصر الراهن- د. عبد المجيد المحتسب ص ٣١٧

(٤) الفلسفة القرآنية - عباس محمود العقاد-ص ١٥

ثالثاً: إن هذا اللون من التفسير يعرض القرآن للدوران مع أنواع المعارف ونظريات العلوم وهى أمور لا يقر للكثير منها قرار فقد يهدم العلم فى الغد ما يراه اليوم من المسلمات فالعلوم الإنسانية تتجدد مع الزمن على ما هو مقتضى سنة التقدم.

(فلا تزال بين ناقص يتم، وغامض يتضح، وموزع يتجمع، وخطأ يقترب من الصواب، وتخمين يترقى إلى اليقين. ولا يندر فى القواعد العلمية أن تتقوض بعد رسوخ، أو تتزعزع بعد ثبوت. ويستأنف الباحثون تجاربهم فيها بعد أن حسبوها من الحقائق المفروغ منها عدة قرون)[١]

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها، وأوقفنا القرآن وأنفسنا مواقف الحرج.[٢]

رابعاً: إن هذا المسلك ينطوى على معان عدة لا تليق بجلال القرآن الكريم وكماله ، أستأذنك فى أن أنقلها لك بعبارة سيد قطب الأدبية الندية. وإن كان فى بعض ما ذكره تكرار لما سبق تقريره.

أولى تلك الأمور فيما قال:

(وهى الهزيمة الداخلية التى تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم. أو الاستدلال له من العلم على حين أن القرآن كتاب كامل فى موضوعه ونهائى فى حقائقه. والعلم ما يزال فى موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس وكل ما يصل إليه غير نهائى ولا مطلق لأنه مقيد بوساطة الإنسان وأدواته وكلها ليس من طبيعتها أن تعطى حقيقة واحدة نهائية مطلقة.)

والثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته. وهى أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان.

والثالثة: هى التأويل المستمر- مع التمحل والتكلف لنصوص القرآن كى نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التى لا تثبت ولا تستقر وكل يوم يجد فيها جديد.[٣]

---

(١) المصدر السابق

(٢) تفسير القرآن الكريم -الشيخ محمود شلتوت- ص ١١ انظر: التفسير الحديث-محمد عزة دروزة٧/٢ ومعالم الشريعة الاسلامية. د. صبحى الصالح ص ٢٩١.

(٣) فى ظلال القرآن - سيد قطب ١٧٦/١

ويبين الشيخ محمود شلتوت جوانب الخطأ فى هذا الاتجاه فيقول:

(هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون وأنواع المعارف وهى خاطئة من غير شك لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم.

وهى خاطئة، لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان ومكان والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار الأخير. فقد يصح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات)[١]

خامساً: إن هذا المسلك يعد خطأً منهجياً لأن حقائق القرآن الكريم قطعية نهائية بخلاف ما يصل إليه الانسان من حقائق فإنها غير قطعية ولا نهائية ففيها النقص والخطأ، فلا يصح تعليق تلك بهذه تعليق تطابق وتصديق.[٢]

سادساً: إن إدخال التفسيرات العلمية على الإشارات القرآنية وبالصورة التى جرى عليها بعض الكتاب والعلماء لابد أن يفضى عما قريب أو بعيد إلى صراع بين الدين والعلم.[٣]

يضاف لما سبق الرد على المجيزين لهذا المنهج والمؤيدين له فى تمسكهم بظواهر بعض النصوص كقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شئ) (الأنعام:٣٨) وقوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) (النحل:٨٩)

ومثل فواتح السور الواردة فى القرآن الكريم فهى مما لم يعهده العرب.

فقد أجاب عن هذه الاستدلالات الشاطبى فى الموافقات بقوله (فأما الآيات) فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكيف والتعبد أو المراد

---

(١) تفسير القرآن الكريم –الشيخ محمود شلتوت ص ١

(٢) فى ظلال القرآن – سيد قطب –١/١٧٦

(٣) الفكر الدينى فى مواجهة العصر –د.عفت الشرقاوى ص٤٢٦ فى مقام عرضه لرأى إسماعيل مظهر عن جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٦١/١١/١٧

بالكتاب فى قوله (ما فرطنا فى الكتب من شئ) اللوح المحفوظ ولم يذكروا فيها ما يقتضى تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية.

ثم قال: وأما فواتح السور فقد تكلم الناس فيها بما يقتضى أن للعرب بها عهداً كعدد الجمل.[١] الذى تعرفوه من أهل الكتاب حسبما ذكره أصحاب السير.

أو هى من المتشابهات التى لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى. وغير ذلك وأما تفسيرها بما عهد به فلا يكون ولا يدعيه أحد ممن تقدم فلا دليل فيها على ما ادعوا.

ثم قال: فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ويجب الاقتصار فى الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه وتقول على الله ورسوله فيه. والله أعلم وبه التوفيق)

بهذه العبارات ينقض الشاطبى تلك الاستدلالات ويوجهها مبيناً رأيه فيها.

تلخيص:

يمكن أن نلخص تلك الأدلة والأسباب بما يلى:

١- التقيد بفهم معانى الألفاظ بدلالة اللغة وحدود استعمالها وقت نزول القرآن وعدم التوسع فى ذلك. ولذا لم يرد هذا النوع من التفسير عن السلف.

---

(١) بضم الجيم وتشديد الميم ، وهو اسم حساب مخصوص مبناه على كلمات أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ . كل حرف منها يدل على رقم فالحروف من الألف إلى الطاء للآحاد ومن الياء إلى الصاد للعشرات ومن القاف إلى الظاء للمئات وحرف الغين آخرها يمثل ألف (١٠٠٠) . وهو قول مردود ورد فيه حديث ضعيف من رواية الكلبى . قال ابن كثير من زعم ذلك فقد ادعى ما ليس له وطار فى غير مطاره .

انظر : تفسير ابن كثير ١/٣٨ ، وتاج العروس مادة جمل ٧/٣٦٤ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢/١١ .

٢- أن توسيع دلالة الألفاظ إلى أوسع مما يعرفه العرب قديماً يؤدى إلى عدم بلاغة القرآن لعدم مراعاة مقتضى الحال حينئذ.

٣- أن مهمة القرآن الكريم دينية اعتقادية وليست علمية.

٤- أن هذا المسلك عما قريب أو بعيد سوف يؤدى إلى الصراع بين الدين والعلم.

٥- ما يؤدى إليه هذا المسلك من التأويل المتكلف الذى لا يسيغه الذوق السليم ويتنافى مع إعجاز القرآن.

٦- أن فى هذا المسلك تعريضاً للقرآن الكريم لكثرة التأويلات وتغيرها بتغير العلوم وتطورها نظراً لعدم استقرار المسائل العلمية.

٧- أن التفسير العلمى بدعة حمقاء ودفاع فاسد عن القرآن الكريم من كل وجه.

٨- أن هذا النوع من التفسير يعارض اليسر الذى ينبغى أن تتصف به الشريعة الاسلامية.[١]

٩- عدم فهم الآيات والآثار التى قد يفهم منها هذا المنحى على وجهها الصحيح.

---

[١] انظر: التفسير العلمى للقرآن الكريم-دراسة وتقويم عبد الله الأهدل-رسالة ماجستير-كلية أصول ص ١٩٤. والتفسير العلمى للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق. د. هند شلبى ص ٦٣-٦٩

المؤيدون للتفسير بمكتشفات العلم التجريبى ومؤلفاتهم

حظى هذا النوع من التفسير بمؤيدين له ومدافعين عنه ومكثرين منه. قدماء ومحدثين وسأجمل القائلين بهذا بوجه عام دون تحديد دقيق لرأى كل واحد منهم إذ يجمعهم التوجه وإن اختلفت درجتهم فيه وذلك تجنباً للإطالة المملة وتشعيب الأقوال تكثرا. فمنهم:

١- الإمام الغزالى: فى إحياء علوم الدين وجواهر القرآن.

٢- الفخر الرازى (ت٦٠٦هـ): فى تفسيره مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير.

٣- بدر الدين الزركشى (ت٧٩٤هـ): فى البرهان فى علوم القرآن.

٤- جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ): فى الإتقان فى علوم القرآن والإكليل فى استنباط التنزيل.

٥- ابن أبى الفضل المرسى فيما نقله عنه السيوطى فى الاتقان.

٦- البيضاوى (ت٦٩١هـ): فى تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

٧- نظام الدين النيسابورى (ت٧٢٨هـ): فى غرائب القرآن ورغائب الفرقان.[١]

٨- محمود شكرى الألوسى (ت ١٢٧٠هـ): فى روح المعانى [٢] وكتابه الآخر: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القوية البرهان.

٩- طنطاوى جوهرى (ت١٣٥٨هـ): فى الجواهر فى تفسير القرآن الكريم، والقرآن والعلوم العصرية.

١٠- محمد أحمد الاسكندرانى: فى كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية)[٣] و(تبيان الأسرار الربانية فى النباتات والمعادن والخواص الحيوانية)[٤]

---

[١] تأثراً بالفخر الرازى حيث ينقل عنه.

[٢] لما ينقله عن الفخر الرازى وما يذكره من التفسير الإشارى ومنزعه علمى قديم.

[٣] كتاب يقع فى ثلاثة أجزاء بمجلد واحد طبع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٧ هـ انظر التفسير نشأته، تدرجه، تطوره لأمين الخولى ص ٥٢ والتفسير والمفسرون للذهبى ٤٩٧/٢

[٤] طبع فى سوريا سنة ١٣٠٠ هـ عن التفسير، نشأته، تدرجه، تطوره لأمين الخولى ص ٥٢

١١- عبد الله باشا فكرى: فى رسالته فى مقارنة بعض مباحث البيئة بالوارد فى النصوص الشرعية.[١]

١٢- إبراهيم فصيح الشهير بحيدرى زاده البغدادى فى رسالته فى تطبيق الهيئة الجديدة للآثار على بعض الآيات الشريفة وبعض الأخبار.

١٣- أحمد مختار باشا الغازى.[٢]

١٤- محمد توفيق صدقى فى محاضراته فى سنن الكائنات.

١٥- عبد الرحمن الكواكبى: فى طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد.

١٦- محمد فريد وجدى: فى الإسلام دين الهداية والاصلاح.

١٧- مصطفى صادق الرافعى: فى إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.

١٨- جمال الدين القاسمى: فى محاسن التأويل.

١٩- محمد عبده: فى تفسير جزء عم وتفسير المنار.

٢٠- عبد الحميد بن باديس: فى مجالس التذكير من كلام الحكم الخبير.

٢١- د. عبد العزيز إسماعيل: فى الإسلام والطب الحديث.

٢٢- عبد الرازق نوفل: فى القرآن والعلم الحديث وغيره من مؤلفاته.

٢٣- محمد أحمد الغمراوى: فى الإسلام فى عصر العلم.

٢٤- حنفى أحمد: فى التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن.

٢٥- محمود أبو الفيض المنوفى: فى القرآن والعلوم الحديثة.

٢٦- الشيخ محمد متولى الشعراوى: فى معجزة القرآن.

٢٧- د. محمد عبد الله دراز: فى مدخل إلى القرآن الكريم.

---

(١) مطبوعة فى القاهرة سنة ١٣٥١ هـ

(٢) كان صدراً أعظم للدولة العثمانية له بحث فى الآيات الكونية فى القرآن. انظر: اتجاهات التفسير فى العصر الراهن.د. عبد المجيد المحتسب ص ٢٦٤ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٧٣/٢

٢٨- جمال الدين عياد: فى بحوث فى تفسير القرآن، وقدرة الله مظاهرها من العلم الحديث.

٢٩- د.مصطفى مسلم: فى مباحث فى إعجاز القرآن.

٣٠- عبد العزيز بن خلف آل خلف فى : دليل المستفيد فى كل مستحدث جديد.

٣١- د.منصور حسب النبى: فى الكون والإعجاز العلمى للقرآن.

٣٢- د.البشير التركى فى :لله العلم.

٣٣- محمد عبد الحليم أبو زيد فى : مجلة الأزهر (المجلد ١٨/١٥٦٠)

٣٤- د. عبد الله شحاته فى : تفسير الآيات الكونية.

٣٥- أحمد جبالية فى : القرآن وعلم الفلك.

٣٦- د. محمود ناظم نسيمى فى : مع الطب فى القرآن الكريم.

٣٧- محمد وفاء الأميرى فى : آيات الله.

٣٨- د. عبد العليم عبد الرحمن خضر فى : الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ، والمنهج الإيمانى للدراسات الكونية، وهندسة النظام الكونى فى القرآن.

٣٩- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فى : التحرير والتنوير.

٤٠- د. عبد الغنى عبود: فى الإسلام والكون.

٤١- الشيخ حسن البنا: فى مقدمة فى التفسير مع تفسير الفاتحة وأوائل سورة البقرة.

٤٢- د. فهد بن عبد الرحمن الرومى فى : اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر الهجرى.

٤٣- الشيخ عبد القاهر داود العانى فى : دراسات فى علوم القرآن.

٤٤- محمد صادق عرجون: فى نحو منهج لتفسير القرآن.

٤٥- محمد أبو زهرة: فى المعجزة الكبرى، القرآن.

٤٦- د. محمد سعيد رمضان البوطى: فى مقال فى مجلة العربى عدد ٢٤٦ عام ١٣٩٩هـ.

٤٧- عبد الله بن عبد الله الأهدل فى : التفسير العلمى للقرآن الكريم. دراسة وتقويم.[١]

٤٨- هند شلبى فى : التفسير العلمى للقرآن بين النظريات والتطبيق.

٤٩- نعمت صدقى فى : معجزة القرآن.

ومنهم الشيخ عبد المجيد فى مؤلفاته ومحاضراته والدكتور محمد على الباز فى أبحاثه ودراساته.

فهذا استعراض بإيجاز لعدد كثير من القائلين بالتفسير العلمى يظهر منه انتشار هذا القول وشيوعه على امتداد فى الزمان واتساع فى المكان فهم مختلفو الديار متعددو المذاهب والمشارب متنوعو الثقافات والتخصصات. على أنه يتعين التنبيه إلى أنهم ليسوا على درجة واحدة فى قبولهم للتفسير العلمى فمنهم من يؤيده بإطلاق واندفاع.

ومنهم من له شروط وقيود فيقبله بحدود ويقصره على الحقائق العلمية اليقينية القطعية دون النظريات الافتراضية. فالمتوسطون فى الرأى والمتحفظون فى الحكم هم أقرب إلى أن يعدوا من المؤيدين منهم إلى المعارضين لأنهم فى المحصلة النهائية يقبلونه بضوابط وشرائط وسيظهر بجلاء الفرق بين الفريقين فى الملاحق التى أشرت إليها من قبل .

أسباب قبول هذا التفسير :

تختلف أدلة ومسببات قبول تفسير القرآن الكريم بمكتشفات العلم التجريبى أو ما اشتهر بالتفسير العلمى عند القائلين به وسأحاول فى هذه الأسطر عرض أشهر وأظهر ما تبين لى منها.

والآيات والآثار التى سأوردها هى من استدلالات المتقدمين، والتعليلات من آراء المتأخرين. فمن ذلك:

١- الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات كقوله تعالى: (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) سورة الأنعام : ٣٨ ، وقوله تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ) النحل: ٨٩

فيفسرون الكتاب بالقرآن ويحملون الآية على ظاهر عمومها وقد ساق الفخر الرازى بعض الاستدلالات للرد على منتقديه فى الإكثار من علم البيئة والنجوم بما يصلح أن يكون من أدلة المؤيدين لهذا النوع من التفسير منها:

---

[١] رسالة ماجستير فى كلية أصول الدين بالرياض

(١) قوله تعالى (أفلا ينظرون إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) سورة ق: ٦ حيث حث على التأمل فى بنائها وتزيينها.

(٢) قوله تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سورة غافر : ٥٧ إذ بين أن عجائب الخلق فى أجرام السموات والأرض أكثر وأعظم وأكمل مما فى أبدان الناس.

(٣) قوله تعالى (ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) سورة آل عمران : ١٩١ فقد مدح المتفكرين فى خلق السموات والأرض ولو كان ذلك ممنوعاً منه لما فعل.[١]

(٤) قوله تعالى (سنريهم ءاياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فصلت:٥٢

فقوله سنريهم يدل على الاستقبال ومنع هذا النوع من التفسير يؤدى إلى قصر الإعجاز القرآنى على عصر النبوة فقط. وهذا يعنى أن يستقبل القرآن القرون الأخرى دون إعجاز أو عطاء. وهذا ممنوع.[٢]

٢- الاستدلال بعموم بعض الأحاديث والآثار من ذلك:

- ما أخرجه الترمذى وغيره أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال: (ستكون فتن: قيل: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم)[٣]

- ما أخرجه أبو الشيخ عن أبى هريرة أنه قال: (قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إن الله لو أغفل شيئا لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة.[٤]

- ما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود أنه قال (من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والأخرين)[٥]

---

[١] التفسير الكبير للفخر الرازى ١٢١/١٤

[٢] انظر المنهج الإيمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم-د. عبد العليم عبد الرحمن خضر ص ٢٤٤

[٣] أخرجه الترمذى فى سننه-كتاب فضائل القرآن-باب ما جاء فى فضل القرآن (١٧٢/٥). وقال عنه: وهذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول وفى الحارث (مقال)

[٤] أخرجه أبو الشيخ الأصفهانى فى كتاب العظمة(٥٣٤/٢) وفى سنده أبو أمية بن يعلى ضعفه غير واحد. انظر ميزان الاعتدال (٢٥٤/١)

[٥] انظر الإتقان للسيوطى ٢٨/٤ الإكليل للسيوطى أيضا ص ٢، التفسير والمفسرون للذهبى ٤٧٧/٢ وقد ساق السيوطى فى الإتقان الكثير من الروايات والأقوال التى ترجع أنواع العلوم إلى القرآن الكريم ، وفى كثير منها الكثير من البعد والتكلف.

٣- أن الله سبحانه وتعالى: ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم وذكر هذه الأمور فى أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى. فلو لم يكن البحث عنها والتأمل فى أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه منها.[١]

٤- إن العلم الحديث ضرورى لفهم بعض معانى القرآن الكريم ، وليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهماً دقيقاً متوقفاً على تقدم بعض العلوم. يقول مصطفى صادق الرافعى فى إعجاز القرآن (إن فى هذه العلوم الحديثة على اختلافها لعوناً على تفسير بعض معانى القرآن والكشف عن حقائقه)[٢]

فتكون الحقيقة العلمية من مرجحات المعنى فى الآية القرآنية.[٣] فإذا احتملت الآية أكثر من معنى يتعين أن يؤخذ بما يرجحه العلم وتؤكده حقائقه ولا مسوغ البتة فى تنكب ذلك وتجنبه وهذا يعنى أن الجهل بحقائق العلوم مدعاة إلى الخطأ فى التفسير.

يؤيد هذا التميز الذى تستقل به المفردة القرآنية وتنفرد به عن غيرها فى سعة معناها ودقة التعبير بها وتخير لفظها مما يستحيل معه أن تؤدى أى كلمة أخرى قريبة منها أو رديفة لها كامل معناها بإيحاءاته وظلاله ودقائق معانيه ومن هنا نجد أن غالب القائلين بوجود الترادف فى اللغة يمنعونه فى القرآن الكريم.

٥- تحقق فوائد كثيرة ومنافع كبيرة من هذا النوع من التفسير مثل:

- إدراك وجوه جديدة للإعجاز فى القرآن الكريم بإثبات التوافق والتطابق بين حقائق القرآن الكريم القطعية النهائية وحقائق العلم القطعية اليقينية.
- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به، وتعرفهم عليه من هذا الطريق ببيان إعجاز القرآن العلمى لهم وإقامة الحجة عليهم بذلك.

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ١٢١/١٤

(٢) إعجاز القرآن – مصطفى صادق الرافعى ص ١٤٣

(٣) انظر التفسير العلمى للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – د. هند شلبى ص ٥٨

- ما فى هذا المسلك من الحث على الالتفات لأسرار هذا الكون والانتفاع بها بما ينفع الناس.
- امتلاء النفوس إيماناً بعظمة الله جل وعلا وقدرته وعظيم سلطانه بعد الوقوف على بعض أسرار هذا الكون والتى كشفها العلم وأشار إليها القرآن الكريم.
- إظهار التوافق التام بين دين الإسلام وحقائق العلم ودفع المزاعم الباطلة الجاهلة القائلة بأن هناك عداوة وصراعا بين العلم والدين. فهذا الكون خلق الله وهذا القرآن كلام الله.[١]

أضف إلى كل هذا عدم الاقتناع بأسباب المنع من هذا التوجه فى التفسير التى سبق ذكرها.

---

(١) راجع: مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ عبد العظيم الزرقانى ٥٦٨/١
اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر د. فهد الرومى ٦٠٢/٢

نماذج من التفسير العلمى المحمود

الأمثلة فى هذا السياق كثيرة وسأختار منها ما هو قصير تجنباً للإطالة فى المقال أو التعقيد فى المثال، فمنها:

١- يقول الله جل وعلا (لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة. أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه. بلى قادرين على أن نسوى بنانه.) القيامة :١-٤

فقد أنكر الكفار بعثهم بعد موتهم واستغربوه واستبعدوه وقالوا (أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أءنا لمبعوثون. أو ءاباؤنا الأولون) وقالوا (هذا شئ عجيب. أء ذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) ق: ٢-٣

فقد روى أن عدى بن ربيعة أتى النبى -صلى الله علية وسلم- فقال حدثنى عن يوم القيامة متى يكون؟ وكيف يكون أمرها وحالها؟ فأخبره النبى -صلى الله عليه وسلم- بذلك. فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به أو يجمع الله هذه العظام؟ فأنزل الله تعالى (أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه؟) [١]

وفى رواية أخرى أنها نزلت فى أبى جهل.

ولقد لفت تخصيص البنان بذكر القدرة على إعادة خلقه رغم صغره، انتباه المفسرين وحظى اهتمامهم.

فقد أقسم الله فى هذه الآيات بيوم القيامة وبالنفس السليمة الصافية الباقية على نقاء فطرتها حيث تلوم صاحبها على معصيته وتقصيره فى جنب الله وتفريطه فى طاعته.

أقسم الله بهما على أمر عظيم وشأن خطير على ركن من أركان الإيمان. وهو بعث الإنسان يوم القيامة ليس هذا فحسب بل هو قادر على أن يعيد تسوية بنانه سبحانه وتعالى.

ومن هنا طفق المفسرون يلتمسون سر تخصيص البنان بالذكر. وهو جزء صغير من تكوين الإنسان.

---

[١] انظر أسباب النزول للواحدى بتحقيق السيد أحمد صقر ص ٤٧٧ والبحر المحيط ٣٨٥/٨ وذكره القرطبى ٦٣/١٩ بغير سند كما ذكره ابن الجوزى مختصراً ٤١٧/٨

فذكروا تعليلات لطيفة وجيهة لهذا الأمر وأنه خص بذلك لبديع صنعه ودقيق خلقه. ولما فيه من أعصاب وعروق وأظافر رغم صغر حجمه.

وقد ساهم العلم الحديث بما توصل إليه من سر البصمة فى القرن التاسع عشر الميلادى فى كشف بعض جوانب الحقيقة حيث إن كل إنسان على هذه الأرض يتميز وينفرد ببصمة خاصة به لا تتطابق مع أى شخص آخر فى العالم حتى التوائم العائدة إلى بييضة واحدة.

وذلك (أن البصمة تكون من خطوط بارزة فى بشرة الجلد وتجاورها منخفضات وتعلو الخطوط البارزة فتحات المسام العرقية تتمادى هذه الخطوط وتتلوى، وتتفرع عنها تغصنات وفروع لتأخذ فى النهاية وفى كل شخص شكلاً متميزاً.[١]، ولهذا السبب فقد اعتمدت هذه الطريقة لتمييز الأشخاص واكتشاف المجرمين واللصوص.[٢]

وتتجلى عظمة الخالق جل وعلا فى تميز أشكال البصمة مع ضيق المساحة المتاحة، وتكاثر ألوف الملايين من البشر.

يقول صاحبا كتاب: مع الطب فى القرآن الكريم (فقد يكون هذا هو السر الذى خصص الله تبارك وتعالى من أجله البنان)

قلت: لا ينبغى أن يحصر سر ذلك البنان بما تمت معرفته فقد تكشف الأيام عن المزيد وإنما هو بعض أسرار الله فى خلقه وليس فى الآية ما يدل على الحصر.

بل إن هناك توجهات جديدة لمعرفة العلاقة بين الخطوط الموجودة فى كف الإنسان والحالات المرضية من جسمية ونفسية وذلك للعلاقة القوية الموجودة بين المخ والجهاز العصبى والحواس من جهة وبين سطح الجلد من جهة أخرى.[٣]

---

[١] انظر: مع الطب فى القرآن الكريم-د. عبد الحميد دياب، د. أحمد قرقوز ص ٢٣

[٢] وقد تطور الوضع إلى ما يعرف بالبصمة الوراثية وهى أحدث أسلوب لمعرفة الجناة وقد توصل إليها عام ١٩٨٤م. وهى تشمل بصمة البنان أو نقطة دم، وجذرة شعر. وكل ما يتعلق بالوراثة. وقالوا إنه يمكن التعرف من خلال البصمة الوراثية على صاحب منديل متروك فى مكان الحادث منذ سنين. جريدة الشرق الأوسط-عدد ١٣٣٤٩٣

[٣] انظر: التفسير العلمى للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق- د. هند شلبى ص ١٣٩

٢- قوله تعالى (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً) النساء : ٥٦

تتحدث الآية الكريمة عن قدرة الله العظيمة وعن أحداث يوم القيامة الجسيمة فالله جل وعلا الذى بعث الإنسان وهو رميم فأحياه بعد مماث وجمع أعضاءه بعد شتات قادر على تبديل جلده المحترق بجلد جديد وليس شئ على الله بعزيز. إنما إشارة الإعجاز فى الآية تكمن فى تعليل هذا التبديل وأنه (ليذوقوا العذاب) ، فالآية ظاهرة الدلالة فى أن علة التغيير والتبديل للجلود ليذوقوا المزيد من العذاب الأليم. فدل ذلك على أن أكثر أعضاء الجسم غنىً بمستقبلات الألم هو الجلد. كما أن الحروق هى أشد المنبهات الأليمة.وهذا ما عرفه العلم الحديث وقرره. ذلكم أن الجلد غنى بالألياف العصبية التى تقوم باستقبال ونقل جميع أنواع الحس. لذا إنه عندما يحقن الإنسان بإبرة فإنه يشعر بذروة الألم عندما تجتاز الإبرة الجلد. ومتى تجاوزت الجلد خف الألم.[١]

فظهر من الآية الكريمة أن تجديد الجلود ليستمر الشعور بالألم دون انقطاع ويذوقوا العذاب الأليم. أعاذنا الله من عذابه.

٣- يقول الله جل وعلا: (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل ٦٨/١٦٩

فى داخل مملكة النحل الكثير من عجائب الخلق، وبدائع الصنع ودقائق التنظيم أظهرت الدراسات المستفيضة والرصد الواعى للنحلة فى مملكتها فتعرفت الدراسات على أنواعها ومهمات كل نوع منها وروعة التنظيم فيها واختيار الشكل السداسى لبناء بيوتها دون غيره من أنواع الأشكال الهندسية الكثيرة لأنه الشكل الهندسى الوحيد الذى لا تبقى معه أية فراغات أو زوايا مهملة. ويتوج ذلك ما يخرج من بطون النحل من عسل مصفى منقى يحصل به الشفاء لكثير من أدواء المرضى. فقد قررت الآية الكريمة هذه النتيجة الهامة السارة (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون)

---

[١] مع الطب فى القرآن الكريم ص ٣٠

قررت الآية ذلك وتركت التفصيلات لجهد الإنسان المحوط بعناية الله وهدايته. ليكتشف أساليب العلاج به، وأنواع ما يشفيه من مرض، وأثر ألوان العسل الناتج عن نوع غذائه فى ذلك. وقد اتجهت الكثير من الدراسات للتعرف على مكونات العسل ومزاياه فاكتشفوا شيئا وبقيت أشياء. فوجدوا أنه منبع للمواد السكرية الطبيعية، وأنه يحتوى على مجموعة من الفيتامينات، والبروتينات والأملاح المعدنية.ووجدوا أن فيه مواد مضادة لنمو الجراثيم. وأنه مادة شديدة التعقيد يحتوى على مواد مختلفة لم تجتمع فى أى مادة أخرى فأصبح العسل علاجاً لكثير من الأمراض كأمراض الروماتيزم، ومرض التراخوما ولعلاج أمراض القلب والذبحة الصدرية، وللمصابين بقرح المعدة والأثنى عشر. حيث يؤخذ قبل وجبات الطعام بنحو ساعة مذابا فى كوب ماء دافئ ومفيد فى علاج الزكام وواق لنخر الأسنان، ومعجل بالتئام الجروح وغيرها كثير ليس هذا مجال الإطالة بذكرها ولا بيان كيفية استعمالها. بل إن فوائده الطبية لا تقتصر على العسل بل تشتمل السم وحبيبات اللقاح.[١]

ويكفى أن القرآن الكريم قرر هذه الحقيقة ثم ربطها بما ينبغى أن تهدى إليه وتدل عليه من قدرة الخالق جل وعلا وبديع صنعه الذى خلق فسوى، والذى أعطى كل شى خلقه ثم هدى. إنها آية تدل من فكر وتدبر، وكم فى كون الله من آياته. ففى كل شئ آية تدل على أنه واحد. لكنها لا تدل إلا من يتفكر (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الرعد:٣

٤- قال الله جل وعلا: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) الأنعام: ١٢٥

ذكر علماؤنا المتقدمون أقوالاً عدة فى معنى الآية نقل ابن كثير جملة منها: (وقال ابن مبارك فعن ابن جريج: ضيقا حرجا بلا إله إلا الله. حتى لا تستطيع أن تدخل قلبه كأنما صعد فى السماء من شدة ذلك عليه. وقال سعيد بن جبير: يجعل صدره ضيقا حرجا قال: لا يجد فيه مسلكا إلا صعد. وقال السدى: كأنا يصعد فى السماء من ضيق صدره. وقال عطاء الخراسانى: (كأنما صعد فى السماء مثله كمثل الذى لا يستطيع أن يصعد إلى السماء) وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: كأنما يصعد فى السماء) يقول (فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والايمان قلبه حتى يدخل الله فى قلبه)[٢]

---

[١] انظر: مع الطب فى القرآن الكريم ص ١٨٢

[٢] تفسير ابن كثير ١٨٩/٢

هذه بعض الأقوال فى الآية تنتهى إلى صعوبة أو استحالة دخول الايمان فى النفوس كصعوبة الصعود إلى السماء. وربما أن بعضهم كان يرى هذا التعبير ضرباً من الخيال أو تفنناً فى المجاز عند القائلين به لا تراد حقيقته بينما هو الآن نبوءة تحققت وحقيقة تجلت.

وفى الآية من وجوه البلاغة وأسرار البيان ما تنشرح معه النفس فى أولها وتنقبض فى آخرها تأثراً بإيحاء وظلال ألفاظها.

وقد كشف العلم الحديث أن الصعود والارتفاع فى الجو لمسافات عالية يسبب ضيقاً فى التنفس وشعوراً بالاختناق يزداد الارتفاع حتى ينتهى إلى درجة صعبة جدا وحرجة تنتهى به إلى الموت.

وقالوا إن ذلك عائد لأمور: منها انخفاض نسبة الأكسجين فى الارتفاعات العالية حتى تنعدم نهائياً. وانخفاض الضغط الجوى حيث يؤدى ذلك إلى معدل نقص مرور الهواء عبر الأسناخ الرئوية إلى الدم. كما يؤدى إلى تمدد غازات المعدة والامعاء فيضغط ذلك على الرئتين ويعيق تمددها وذلك يؤدى إلى ضيق وصعوبة التنفس. مع برودة الجو وانعدام الوزن.[1]

٥-الخمر وحكمة تحريمها علمياً :

لقد وصف القرآن الخمر بأنها رجس من عمل الشيطان ، وبأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ولا يوجد إثم من الأثام يدخل ضرره فى كل شئ كالخمر من الأفعال والكذب من الأقوال. فإلى جانب أضرارها الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وإذهابها للعقل لها أضرارها الصحية، وهى كثيرة أثبتها الطب الحديث، فمنها إفساد المعدة وفقد الشهية للطعام، ومرض الكبد والكلى وداء السل.

وقد قال الأطباء: إن المسكر لا يتحول إلى دم كما تتحول سائر الأغذية بعد الهضم بل يبقى على حاله فيزاحم الدم فى مجاريه فتسرع حركة الدم وتختل موازنة الجسم وتتعطل وظائف الأعضاء أو تضعف وتخرج عن وضعها الطبيعى المعتدل.

ومن تأثير الخمر فى اللسان: إضعاف حاسة الذوق، وفى الحلق الالتهاب، وفى المعدة ترشيح العصارة الفاعلة فى الهضم حتى يغلظ نسيجها وتضعف حركتها. وقد يحدث فيها احتقانا والتهابا، وتحدث فى

---

[1] مع الطب فى القرآن ص ٢١

الأمعاء التقرح، وفى الكبد تمديده وتوليد الشحم الذى يضعف عمله وكل هذا يتعلق بالجهاز الهضمى.

ومن تأثيرها فى جهاز التنفس إضعاف مرونة الحنجرة وتهيج شعب التنفس، وأهون من ذلك بحة الصوت والسعال، وأعظمها تدرن الرئة. وفى الجهاز العصبى تولد الجنون ، وفى التعامل مع الناس وقوع النزاع والخصام بين السكارى وبعضهم مع بعض وبينهم وبين من يعاملهم أو يعاشرهم.[1]

كما تزيد الخمر من سرعة النبض وتسبب اتساع أوعية الدم السطحية، وهذا يفسر سبب احمرار وجوه متعاطى الخمر، فليس هذا الاحمرار علامة على الصحة ولا دليلا على القوة، إنما هو دم اتسعت أوعيته الخارجية فوضح، فى حين أن الأوعية الداخلية انقبضت. وأن الخمر فوق ذلك تسبب ارتفاعا فى ضغط الدم، وبذلك تعرض مرتفعى الضغط للخطر.أما تأثير الخمر فى حرارة الجسم فقد ثبت طبياً أن كأساً من الخمر إلى ثلاثة كؤوس تسبب انخفاضا فى درجة حرارة الجسم بمقدار نصف درجة سنتجراد تقريباً، وذلك بسبب اتساع أوعية الدم السطحية، وعلى ذلك تزيد فى فقد الحرارة فينشأ عن ذلك فقد حرارة من الجسم أكثر.[2]

يقول الدكتور محمد توفيق صدقى: (يظن كثير من الناس أن استعمال الخمور فى البلاد الباردة ضرورى للحياة، وقد أثبت جميع أطباء العالم بلا خلاف بينهم نقيض هذه الدعوى وظهر لهم أن الخمر من أعظم ما يخفض الحرارة الجسمانية للأسباب:

١- أنها تقلل الاحتراق الداخلى فى الجسم المسمى بالتفاعل الحيوى.

٢- أنها تمدد جميع أوعية الجلد وتكثر العرق، وبذلك يخرج كثير من حرارة الجسم.

٣- أنها إذا تعوطيت بمقادير انتهى الأمر بها إلى إضعاف جميع قوى الجسم، فيضعف القلب والدورة الدموية ، ولذلك شوهد فى البلاد كثير من الناس قتلتهم الخمر.

نعم إن جزءاً منها يحترق فى الجسم فيولد فيه حرارة، ولكنها لا تعد شيئا فى جانب تبريدها السديد للجسم، كما بينا. أما الإحساس بالحرارة عقب تعاطيها فذلك ناشئ من ورود الدم بكثرة إلى الجلد لا للزيادة فى الاحتراق فهو إحساس كاذب ضار بالجسم.[3]

---

[1] مصدر هذه المعلومات تفسير المنار ، ٣٢٦:٢

[2] بين الطب والاسلام ص ١٢١

[3] دروس سنن الكائنات ص ١٣-١٤

كما أثبت الطب الحديث أن الأشخاص الذين يتعاطون الخمر أكثر استعداد للمرض وأقل مساومة له من الذين لا يتعاطونها، وكذلك يكونون أقل تحملا لأن تجرى فى أجسامهم العمليات الجراحية. وقد يدعى بعض الناس أن الخمر قد تستعمل كدواء لبعض الأمراض، ولكن هذا الادعاء لا أساس له من الصحة، وقد نقل عن كثير من أطباء العالم قولهم: إنها لا تصلح كدواء ، فهذا طبيب انجليزى يصرح فى قوة قائلا: (أنا لا أعلم مريضا شفى من الخمر) ويقول طبيب أخر اسكتلندى: (الخمر لا تشفى شيئا) ويقول طبيب ثالث: (إن الخمر تدخل الجسم وتخرج منه ولا أثر لها إلا ما تحدثه من أضرار)[١]

وهكذا تتوارد أقوال الأطباء فى أنها لا تصلح أن تكون علاجاً لأى مرض ولقد روى مسلم فى صحيحه أن طارق بن سويد الجعفى سال النبى صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها فقال: إنما أصنعها للدواء فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بدواء ولكنه داء.[٢] وقد انتقد مؤتمر الأطباء الدولى سنة ١٩٢٩ الخمر كدواء، وقرر ان انتشارها هدم لسعادة الأمم وتقويض لبناء الأخلاق.[٣]

٦- المحيض وحكمة النهى عن القرب :

لقد بين الله تعالى فى كتابه الكريم أسس الزواج، وتولى تلك العلاقة بالعناية والرعاية فوضح أهميتها ونأى بها عن أن تكون مجرد علاقة حيوانية لا رابط لها ولا هدف منها. ومن هنا نهى القرآن الرجل عن مباشرة زوجته أثناء العادة الشهرية كمثل صادق ملزم بتحديد الأوقات المناسبة للمباشرة التى يراعى فيها قبول المرأة، كما يراعى فيها شعور الرجل. وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحيض فى وقت لم يعرف عنه إلا إنه إفراز داخلى، فنزل القرآن مقررا أن المحيض أذى وأمر باعتزال النساء فيه وعدم قربهن .

ففى صحيح مسلم عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن[٤] فى البيوت، فسأل أصحاب النبى صلى الله عليه

---

[١] هذه الآراء من تفسير الجواهر للشيخ طنطاوى جوهرى ١٩٧:١

[٢] أخرجه مسلم فى كتاب الأشربة،باب تحريم التداوى بالخمر وبيان أنها ليست بدواء. انظر شرح النووى على صحيح مسلم. ١٥٢:١٣

[٣] الغذاء والدواء فى القرآن الكريم-د.جمال الدين مهران ود.عبد العظيم حفنى صابر، ط. امجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٧٢ ص ١٤٩

[٤] المعنى: لم يساكنوهن ولم يخالطوهن وإنما جمع (يجامعوهن) لأن المراد بالمرأة الجنس فعبر أولاً بالافراد (يؤاكلوها) ثم بالجمع رعاية للفظ والمعنى على طريق التفنن.

وسلم النبى فأنزل الله تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن اله يحب التوابين ويحب المتطهرين)[١] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اصنعوا كل شئ إلا النكاح، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله: إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد[٢] عليهما فخرجا فاستقبلهم هدية من لبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل فى أثرهما فسقاهما فعرف أن لم يجد عليهما)[٣]

قال العلماء: كانت اليهود والمجوس تجتنب الحائض، وكانت النصارى يجامعون الحيض فأمر الله بالقصد بين هذين.[٤]

وهذا النهى الوارد من الله تعالى لعباده لفتة إلى تلك العلاقة بين الرجل والمرأة تسمو بأهدافها عن لذة الجسد، لأن المباشرة المترتبة على تلك العلاقة وسيلة لا غاية، وسيلة لتحقيق هدف أسمى فى طبيعة الحياة هدف النسل وامتداد الحياة على هذه الأرض، والمباشرة فى الحيض قد تحقق اللذة الحيوانية مع ما ينشأ عنها من أذى وأضرار صحية، ولكنها لا تحقق الهدف الأسمى، ومن ثم جاء ذلك النهى إجابة عن ذلك السؤال.[٥] والأذى لفظ عام صالح لأن يكون بمعنى لإيذاء وضرر، وصالح لأن يكون بمعنى قذر تعافه النفس، والاتصال الجنسى أثناء الحيض فيه هذان النوعان من الأذى لكل من المرأة والرجل.

ولم تظهر حكمة النهى بوضوح إلا بعد أن تقدمت علوم الصحة الوقائية. يقول الدكتور عبد العزيز إسماعيل: (إن إفرازات الجسم على نوعين: نوع له فائدة فى الجسم كإفرازات الغدد الهاضمة والتناسل، وكافة الإفرازات الداخلية التى تنظم أجهزة الجسم وأنسجته. وهذا النوع من الإفراز ضرورى للحياة وليس فيه ضرر إلا إذا انعدم إفرازه.

ونوع أخر ليس فيه فائدة بل العكس يجب إفرازاه من الجسم إلى خارجه إذ إنه مواد سامة يجب أن يتخلص منها الجسم ، فإذا بقيت فيه أضرت به ضررا بليغا، بل تكاد تودى به ومثل هذه الإفرازات البول

---

[١] سورة البقرة الآية ٢٢٠

[٢] وجد من الموجدة وهى الغضب أى غضب عليهما

[٣] أخرجه مسلم فى كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض شرح النووى ٢١١:٢

[٤] الجامع لأحكام القرآن ٨١:٣

[٥] فى ظلال القرآن، مجلد ١ ص ٢٤١

والبراز والعرق وأهمها الحيض. وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يخرج من المرأة وإلا قتلها عن طريق التسمم، أفليس هذا المحيض أذى.[١]

أما حكمة اعتزال النساء فى المحيض فإن القرآن أول ما نبه على ذلك. ويحدثنا العلم الحديث فيقول: إن الأعضاء التناسلية للأنثى تكون أثناء الحيض فى حال احتقان، وأعصابها فى حالة اضطراب بسبب إفرازات الغدد الداخلية، ويصحب ذلك أعراض مرضية كالصداع وآلام الظهر وهبوط فى الجسم. وقد تزيد هذه الأعراض فتصبح شديدة شدة الأمراض.فالاختلاط الجنسى فى هذه الفترة يضر بالمرأة أكبر ضرر، فربما منع زوال الحيض، وما يترتب على ذلك معروف، وقد يحدث اضطرابا عصبيا يطول علاجه. ولابد أن يسبب الاختلاط التهابا فى الأعضاء التناسلية قد يصعب علاجه، فحالة الأنثى وقت الحيض حالة مرضية غير عادية، ولذا فإن الطبيب يصعب عليه الكشف على الأنثى وقت الحيض.

(وهناك ضرر بالغ للرجل، فقد يكون بالرجل حالة من المرض الذى لا يلاحظه كالتهاب أو خدش أو جروح، فإذا ما تلوث بإفراز الحيض كانت الكارثة. وقد يحدث عقما فى الذكر والأنثى. ولذلك نجد أطباء العلم ينصحون بعدم الاتصال فى ذلك الوقت، كما نهى القرآن عنه، فإنه لا شك أذى للرجل والمرأة)[٢]

كما يقرر علم الصحة ضرورة اغتسال المرأة بعد الحيض بعد أن قررت ذلك الآية بعشرات المئات من السنن، وذلك لإزالة ما خالط جسمها من الإفرازات والأوساخ والميكروبات، هذا من الناحية الطبية. (وهناك ناحية نفسية أفصح عنها التقدم العلمى وهى ضرورة الاغتسال لتبدو المرأة بعد الحيض فى زينة ونظافة تبعث الرضا والسرور فى نفس زوجها، وتزيل عنه ما يكون قد لاحظه من وعكتها وسوء حالها)[٣]

هذه بعض الأمثلة التى تخيرتها تجنباً للكثرة والإطالة. وقد قدر بعض الباحثين آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن الأنفس والأكوان بما يزيد عن ٩٠٠ آية.[٤] منثورة فى سور القرآن الكريم.

---

(١) الاسلام والطب الحديث ص ٣٩

(٢) دروس سنن الكائنات ص ٥٧

(٣) القرآن والعلم الحديث، عبد الرازق نوفل ، ص ١٤٥

(٤) انظر القرآن والعلوم. د. جمال الدين الفندى وكتاب (مباحث فى اعجاز القرآن)،مصطفى مسلم ص١٥٠

نماذج من التفسير العلمى المذموم

١- تفسير قوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾[١] . بما توصل إليه العلم حديثاً من غزو الفضاء ومحاولة الوصول إلى الكواكب المختلفة ، لأن السلطان يعنى العلم الاختراعى ، والنفاذ مقصود به الوصول إلى هذه الكواكب ، وبذلك يكون القرآن قد سبق العلم الحديث بدعوته إلى غزو الفضاء[٢].

وهذا التفسير لهذه الآية على هذا النحو غير سديد للأمور التالية :

١ - بالرجوع إلى كتب اللغة فى معنى (النفاذ) الذى هو موضوع التحدى نجد أنه عبارة عن جواز الشئ عن الشئ وخلوصه منه كالنفوذ يقال : نفذ السهم من الرمية[٣] إذا خالط السهم جوف الرمية وخرج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه .[٤]

فهل تحقق النفاذ بهذا المعنى لرجال الفضاء فاخترقوا أقطار السموات كلها وتجاوزوها إلى عالم آخر فوقها غير عالمها ؟ هذا ما لا يمكن لهم أن يبدعوه وذلك لأن قطر الشئ طرفه وجانبه قال تعالى: ﴿ ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها ﴾ [٥] وفى لسان العرب لابن منظور : (القطر - بالضم - : الناحية والجانب ، والجمع أقطار ، وفى التنزيل ﴿ من أقطار السموات والأرض ﴾ أقطارها : نواحيها) .[٦]

إن كل هدف التسابق لغزو الفضاء هو الوصول إلى القمر أو غيرها من الكواكب والقمر تابع من توابع الأرض كما أثبت العلم الحديث نفسه ذلك ، بل هى لا تبعد عن الأرض إلا بنحو ٣٨٤ ألف كيلو متراً [٧].

---

(١) سورة الرحمن ، الآية ٣١ .

(٢) انظر أضواء من القرآن على الإنسان ، عبدالغنى الخطيب ، ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٣) ضبطها صاحب الصحاح أنها بكسر الميم وتشديد الياء ، ٢ : ٥٧١ .

(٤) القاموس المحيط ، ١ : ٣٧٣ مادة (نفذ) .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية ١٤ .

(٦) لسان العرب ، ٥ : ١٠٦ .

(٧) السموات السبع ، محمد جمال الدين الفندى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م . ص٣٩.

وقد كتب الدكتور محمد جمال الدين الفندى - وهو من المتخصصين فى علم الفلك والأرصاد الجوية يقول :

((يظن كثير من الناس خطأ - وقد كنت منهم -[١] أن قول الله تعالى فى سورة الرحمن : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ من دلائل انطلاق الإنسان عبر الفضاء ولكن الحقيقة عندما نفهم معنى (أقطار) تماما نجد أن المعنى إشارة واضحة للتعجيز ، كما هو واضح من قوله تعالى " ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ [٢] أما النفاذ من أقطار الأرض فما من شك أن معناه اختراق الكرة الأرضية عبر باطنها المستعر والخروج من الجهة المقابلة وما من شك أن مجرد اختراق القشرة اليابسة للأرض معناها انطلاق مواد الباطن على هيئة بركان مدمر. أما اختراق أقطار السموات فبالمثل معناه عبور الشموس والنجوم وسائر ألوان الغبار الكونى وأحزمة الأشعة الكونية ومجاريها ، وهى أشد إحراقا وفتكا من براكين الأرض.

أما الوصول إلى القمر أو المريخ أو الزهرة فليس معناه النفاذ من أقطار السموات بحال من الأحوال ، وقد فهمنا امتداد الكون واتساع السموات ، وأن أقطارها تربو على عدة آلاف ملايين السنين الضوئية. [٣]

٢ - بالرجوع إلى معنى كلمة (سلطان) المشروط وجوده حتى يمكن النفاذ نجده يطلق على الحجة والبرهان كما فى قوله تعالى " ﴿ فأتونا بسلطان مبين ﴾ [٤]، وقوله تعالى ، ﴿أو ليأتينى بسلطان مبين ﴾ [٥]، كما يطلق على القدرة ، وفى اللسان : قال الليث : "السلطان : قدرة الملك وقدرة من جعل ذلك له وإن لم يكن ملكاً كقولك : قد جعلت له

---

[١] لأنه فى كتابه (القرآن والعلم) قال بهذا الرأى ، أنظر كتابه المذكور ، ط ١ ، ص ٤٨ .

[٢] سورة الرحمن ، الآيتان ٣٣ ، ٣٤ . والشواظ - بضم الشين وكسرها - اللهب الذى لا يخالطه دخان لانه قد كمل اشتعاله ، وذلك أشد إحراقا ، والنحاس : يطلق على الدخان الذى لا لهب معه ، ويطلق على القطر ، والمعنى يصب عليهم القطر المذاب ، فلا تنتصران : فلا تجدان مخلصاً من ذلك ولا ناصراً .

[٣] السموات السبع ، محمد جمال الدين الفندى ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

[٤] سورة إبراهيم ، الآية ١٠ .

[٥] سورة النمل ، الآية ٢١ .

سلطاناً على أخذ حقى من فلان"[٦] وقال تعالى على لسان إبليس يخاطب أتباعه الذين اغتروا بفتنته: ﴿ وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ﴾[١]، والمعنى ما كان لى عليكم فيما دعوتكم إليه من ولاية وقدرة ، وإنما هى مجرد دعوة استجبتم لها ، وقد أقامت الرسل عليكم الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه ، فلا تلومونى اليوم ولوموا أنفسكم فإن الذنب ذنبكم لكونكم خالفتم الحجج واتبعتمونى لمجرد دعوتكم إلى الباطل [٢].

فالذى يدل عليه السياق هنا هو أن السلطان معناه القدرة ، وهى بلا شك منفية لأن المقام مقام تحد ، ولا يقال على وجه التحدى : أنت لا تستطيع أن تفعل ذلك إلا بعلمك ، لأنه عام فى كل شئ .

٣ - ضم الجن إلى الإنس فى الآية الكريمة وتقديمهم فى الذكر يدل على أن المقصود هو التحدى والتعجيز ، لأن العجز قد منعهم من الاقتراب من السموات بمقتضى قوله تعالى فيما يقصه عنهم : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ [٣]، وسورة الجن التى ورد فيها هذا النص سابقة فى النزول على سورة الرحمن الوارد فيها النص موضوع الحديث [٤]، والحكمة فى تقديم الجن على الإنس ها هنا ، وتقديم الإنس على الجن فى قوله تعالى : ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ [٥]، أن النفوذ من أقطار السموات والأرض بالجن أليق لو كان ممكناً والإتيان بمثل القرآن بالإنس أليق لو كان ممكناً ، فقدم فى كل موضع ما يناسبه [٦].

---

[٦] لسان العرب، ٧ : ٣٢١ .

[١] سورة إبراهيم ، الآية ٢٢ .

[٢] تفسير أبى السعود ، ٣ : ١٢٤ .

[٣] سورة الجن ، الآية ٨ .

[٤] انظر البرهان فى علوم القرآن ، ١ : ١٩٤ .

[٥] سورة الإسراء ، الآية ٨٨ .

[٦] انظر حاشية الجمل على تفسير الجلالين ، ٤ : ٢٦٠ .

٤ – نفى الإنتصار فى قوله تعالى : ﴿ فلا تنتصران ﴾ ، متمم لمعنى التعجيز ، فالرحلة إلى الفضاء إن كان محكوماً عليها بالفشل وعدم الإنتصار بصريح النص ﴿ فلا تنتصران ﴾ ، فما الفائدة منها ؟

٥ – ذكر السموات والأرض لتحقيق إحاطة الجهات كلها تحقيقاً للتعجيز ، وذلك أن تعدد الأمكنة يسهل الهروب من إحدى جهاتها.

والأرض المذكورة هنا إما أن تكون الأرض التى فى الدنيا وذلك حين البعث ، وإما أن تكون أرض المحشر وهى التى سماها القرآن (الساهرة) فى قوله تعالى : ﴿ فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ [2]، " وإما أن يكون ذلك جارياً مجرى المثل المستعمل للمبالغة فى إحاطة الجهات " [3].

٦ – كل ما ذكرناه من الملاحظات إذا حاولنا فهم الآية بحسب ما تدل عليه ألفاظها فقط من غير مراعاة للمناسبة بينها وبين سابقها ولاحقها – وهو أمر لا بد منه فى الفهم الصحيح – أما مع مراعاة السابق واللاحق فإنه لا علاقة له أيضا بهذا المدعى ، فقبل هذه الآية ورد قوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، يسأله من فى السموات ، والأرض كل يوم هو فى شأن ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، سنفرغ لكم أيه الثقلان، فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾[4]

وهذه الآيات من السورة تتحدث عن الأمور التالية :

(أ) انفراد الله عز وجل بالبقاء والخلود ، وأن الفناء مصير كل من على الأرض من إنس وجن وحيوان .

(ب) أن الله تعالى باعتباره الخالق الرازق والمحيى المميت والمعطى المانع والمعز المذل ، يسأله جميع خلقه فى السموات والأرض قضاء حاجاتهم وإجابة مطالبهم، فهو تعالى قائم على شؤون خلقه.

(ج) بعد تقرير السورة لما سبق ، تقرر حقيقة ثالثة ، وهى أنه – عز وجل – سيفرغ يوم القيامة لحساب خلقه على ما قدموا من خير أو شر .

---

[1] سورة النازعات ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .

[2] سورة إبراهيم ، الآية ٥٠ .

[3] انظر تفسير التحرير والتنوير ، ٢٧ : ٢٥٩ .

[4] سورة الرحمن ، الآيات ٢٤ – ٣٠ .

(د) وبعد تقرير هذه الحقائق الكونية الكبرى يربط القرآن بها حقيقة أخرى تقتضيها تلك الحقائق السابقة وتستلزمها ولا يجوز أن تنفك عنها ، هذه الحقيقة هى أن الله تعالى الذى انفرد بالبقاء وكل خلقه إلى الفناء ، وانفرد بتصريف الأمور ، وكلهم يسأله ويرجوه ، والذى سيفرغ يوم القيامة لمحاسبتهم ومجازاتهم هو أيضا المهيمن عليهم ، المحيط بهم حيث لا يستطيعون إفلاتا من سلطانه ولا هروبا من قضائه ولا نفاذا من أقطار السموات والأرض .

وقد أشار الألوسى إلى هذه المناسبة بين الآية وبين ما سبقها حيث قال : (وكأنه لما ذكر سبحانه أنه مجاز للعباد لا محالة عقب – عز وجل – ذلك ببيان أنهم لا يقدرون على الخلاص من جزائه وعقابه إذا أراده فقال سبحانه : ﴿ يا معشر الجن والإنسن . . . الخ ﴾ [1]، فقول الله : يا معشر الجن والإنسن مقول لقول محذوف يدل عليه سياق كلام السابق واللاحق والتقدير : فنقول لكم : يا معشر الجن والإنس . . الخ كما فى قوله تعالى : ﴿ ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس . . . ﴾ [2] أى فنقول : يا معشر الجن . . . الخ [3]، فالفهم الذى يتمشى مع سابق الآية ولاحقها هو أنه تعالى يتحدى بهذه الآية الجن والإنس أن ينفذوا من جوانب السموات والأرض إن استطاعوا ويهربوا من حكم الله وجزائه وذلك غير مقدور لهم ، كما قال أبو العلاء المعرى :

وهل يأبق الإنسان من ملك ربه فيخرج من أرض له وسماء

والآية على هذا المعنى على حد قوله تعالى : ﴿ وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ ، المعطوف على جملة قوله : ﴿وإليه تقلبون ﴾ ، باعتبار ما تضمنه من الوعيد ، وفيه إشارة إلى إبطال اغترارهم بتأثير الوعيد الذى توعدوه فى الدنيا [4].

وكما فى قوله تعالى عن الجن : (وأنا ظننا ألن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هربا)[5]

وخلاصة القول :

إن التعبير بقوله (إن استطعتم) يفيد التحدى والتعجيز ، ولفظ (من أقطار) يفيد مجاوزة جوانب السموات والأرض إلى ما بعدها ، وهو أمر غير ممكن لهم .وهذا هو سر التعبير بحرف الجر (من) التى من

---

[1] تفسير روح المعانى ، ٨ : ٢٩٨ .

[2] تفسير التحرير والتنوير ، ٢٧ : ٢٥٨ .

[3] سورة العنكبوت ، الآية ٢٢ .

[4] تفسير التحرير والتنوير ، ٢٠ : ٢٣٢ وما بعدها .

[5] سورة الجن : الآية ١٢

معانيها المجاورة[١] دون حرف الجر (فى) فلم يقل فى أقطار السموات ، وإنما قال (من أقطار) وجملة (لا تنفذون إلا بسلطان) بيان للتعجيز الذى فى الجملة قبله فإن السلطان – كما قدمنا – من معانيه القدرة أى لا تقدرون إلا بقدرة عظيمة تفوق قدرة الله الذى حشركم لهذا الموقف وأتى لكم هذه القدرة[٢]

٢– ومنه تفسير الدابة التى تحدث عنها القرآن فى قوله تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم)[٣] بالأقمار الصناعية وغزو الفضاء (فهذه الأقمار التى خرجت من الأرض – فى الوقت الذى انتشر فيه الإلحاد لتتحدث عما فى الكون الغامض وتزيح بعضا من هذا الغموض والتى ستضفى بعضا من المعرفة على حقيقة الفضاء الكونى الهائل والتى يعتبر حديثها أخطر حديث ينصت إليه البشر على اختلاف أجناسهم وميولهم وأديانهم ألا يمكن أن تكون هذه هى الدابة التى تنبأ بها القرآن الكريم فى سورة النمل فى الآية ٨٢[٤]

وكان من الممكن – أيضا – أن نشير إلى أن فى هذه الآية من المعجزات التى لم تتحقق بعد وأن الزمان فى انتظارها يقيناً ،وكان من المستطاع الربط بينها وبين الأقمار والصواريخ التى خرجت من الأرض وهى تدب إلى السماء ، وأنها تكلم الناس الآن بلغة العلم وهى اللغة العالمية .ويتوقع العلماء أنه عن طريق هذه الأقمار والصواريخ سيعرف العالم ما فى الكون من معجزات[٥]

هذا التفسير للدابة تفسير تنقصه الدقة فى المطابقة اللغوية فى ألفاظ الآية من جهة ، والدقة فى المناسبة بين الاية وبين ما تقدمها من الآيات التى عطفت عليها عطف قصة على قصة من جهة أخرى .

---

[١] فتدخل على الاسم للدلالة على البعد الحسى أو المعنوى بينه وبين ما قبله وقد يراد بالمجاوزة الابتعاد عن الشىء بسبب العجز عن الوصول إليه .(انظر النحو الوافى ،عباس حسن) ط ٢،٥ :٤٦٣ – ٤٦٥

[٢] تفسير التحرير والتنوير ٢٧ :٢٥٩

[٣] سورة النمل ، الآية ٨٢

[٤] القرآن والعلم الحديث ،عبد الرزاق نوفل ص ٢١٢ – ٢١٦

[٥] بين الدين والعلم ، عبد الرزاق نوفل ص ١٤٠

فالقول أريد به أخبار الوعيد التى كذبوها متهكمين باستبطاء وقوعها بقولهم فى الآيات السابقة : (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)[١] فالتعريف فى القول للعهد لدلالة المقام عليه والوقوع فى قوله (وقع) مستعار لحلول وقته والتعبير عن وقوعه بصيغة الماضى لتقريب زمن المستقبل من المضى ولتحقيق الوقوع.

أما الدابة فهى– فى اللغة العربية – اسم للحى من غير الإنسان مشتقة من الدبيب وهو المشى على الأرض وهو من خصائص الأحياء[٢]والقرآن أثبت للدابة كلاماً وأسند إليها التكلم وسفن الفضاء والأقمار الصناعية لا تتكلم ، والكلام المسموع منها هو كلام الإنسان الذى تحمله ، فشأنها شأن غيرها من الآلات التى اخترعها الإنسان نقل الكلام لا التكلم ، وفى معنى هذا ما ترسله من إشارات فإنها بوضع الإنسان وتركيبه ، وليس لها ذلك الإدراك الذى يعطينا صحة إطلاق الوصف عليها بانها متكلمة عن إرادة واختيار[٣]

كما أن فى الآية ربطا تاما بين أداة الشرط (إذا) وبين جوابها وهو (أخرجنا) مما يدل على أن خروج هذه الدابة مرتبط تمام الارتباط بحلول وقت الوعيد الذى وعد به المكذبون كما أن هذا التفسير بعيد كما ورد عن النبى ﷺ والمقرر لدى العلماء كلهم أنه إذا ورد عنه ﷺ شىء فى التفسير وصح ذلك عنه فلا يعدل عنه إلى غيره لأنه أعلم خلق الله بمعانى القرآن المنزل عليه وقد روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : حفظت من رسول الله ﷺ يقول : (إن أول الآيات من علامات القيامة خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى . وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا[٤]

---

[١] سورة النمل الآية ٧٣

[٢] انظر تفسير التحرير والتنوير ، ٢٠ : ٣٨

[٣] انظر كتاب ردود على أباطيل محمد الحامد صـ ٢٨٥

[٤] الجامع الصحيح ، ط مصطفى الحلبى ، ١٣٨٠هـ ، ٢٠٢٨

وعليه فدابة الأرض تعبير قرآنى عن حيوان نكل علم نوعه وشكله وهيئته إلى الله عز وجل(يظهر للناس قبيل الساعة يكلمهم وحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل[١]

وحسبنا أن نقف عند النص القرآنى والحديث الصحيح الذى يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة ،وأنه إذا انتهى الأجل الذى تنفع فيه التوبة وحق القول على الباقين فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك ، وإنما يقضى عليهم بما هم عليه حينئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم[٢]

٣- ومنه تفسير الغثاء الأحوى فى قوله تعالى : (والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى)[٣] بالفحم الحجرى ، لأن الغثاء -فى رأيهم - هو اليابس الصلب ، والأحوى هو اللون الأخضر المائل إلى السواد[٤] وكانت الأرض تغطت ببساط أخضر من النبات واشجار متكاثفة وكانت العواصف الرهيبة تهب على العالم فى هذه الأثناء فعصفت بالأشجار واقتلعت النباتات وسقطت على الأرض دون أن يستغلها كائن ،ومكثت هذه الكتل الضخمة من الأشجار والنبات مطمورة فى باطن الأرض سنين عديدة حتى اكتشفها الإنسان واستعملها وقودا سماه فحما فتكون الآية قد فصلت حقبة من التاريخ الجيولوجى قبل خلق الإنسان ، وقد أوضح العلم دقة ما جاء فى القرآن[٥]

وهو تفسير غير مسلم فهمه من النص القرآنى :

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية صـ ٣١٧

(٢) فى ظلال القرآن ، مجلد ٥ جزء ٢٠ : ٢٦٦٧

(٣) سورة الأعلى ، الآتيان ٤،٥

(٤) الأحوى : الموصوف بالحوة بضم الحاء وتشديد الواو - وهى من الألوان سمرة تقرب من السواد وهو صفة غثاء لأن الغثاء يابس فتصير خضرته حوة ،وهذا الوصف لاستحضار تغير لونه بعد أن كان أخضر يانعا ،وذلك دليل على تصرفه تعالى بالإنشاء والإنهاء (والتحرير والتنوير) ٢٩ : ٢٧٨

(٥) انظر كتاب القرآن والعلم الحديث ،عبد الرزاق نوفل صـ٨٤ -٦٨ والقرآن والعلم ، أحمد محمود سليمان صـ ٦١ وما بعدها .

أولا : لأن الفحم الحجرى لا يمكن أن يقال عنه أنه (غثاء أحوى) لأن الغثاء فى لغة العرب التى نزل بها القرآن هو ما يلقيه السيل من المرعى فيصبح متغير اللون بحيث يكون فيه سواد يضرب إلى خضرة ويبقى على شكله أما تحوله إلى (فحم) فتلك مسألة بعيدة عن الآية وعن أهدافها .

أما تفسير (الغثاء) بأنه اليابس الصلب فهو تفسير لا تساعد عليه اللغة العربية ففى اللسان لابن منظور : (الغثاء : ما يحمله السيل من القمش - ما كان على وجه الأرض من فتات الأشياء[١] وكذلك الغثاء - بالتشديد ، وهو أيضا : الزبد والقذر والهالك البالى من ورق الشجر الذى إذا خرج السيل رأيته مخالطاً زبده قال الزجاج فى قوله تعالى : (والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى) جففه حتى صيره هشيما جافا كالغثاء الذى تراه فوق السيل

(٢) وفى مفردات الراغب الأصفهانى : الغثاء غثاء السيل والقدر وهو ما يطفح ويتفرق من النبات اليابس ، وزبد القدر ، ويضرب به المثل فيما يضيع ويذهب غير معتد به [٣]

وجاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية فى هذه المادة ما يلى : يدور معنى المادة على ارتفاع شئ ، فغثاء السيل والوادى والقدر : ما يطفح ويتفرق من الزبد ونحوه ، غثا الوادى وأغثا ، وغثت نفسه : جاشت بشىء مؤذ [٤]

فأين الصلابة فى البالى الهالك من ورق الشجر ؟ وكيف يكون كذلك وهو يحمله السيل فوقه؟

ثانيا :من المستبعد - حسبما يدل سياق الآيات - أن يمتن الله على الناس وعلى العرب المشافهين للدعوة فى القرن السابع الميلادى بتطور جيولوجى لم يكونوا قد عرفوه بعد ، ولا يستطيعون فهمه من ألفاظ الآية لا من قريب ولا من بعيد .

---

(١) لسان العرب ، ط بيروت ، ١٩٥٦ : ٣٣٨٦

(٢) المصدر نفسه ١٥، ١١٦

(٣) المفردات فى غريب القرآن صـ ٣٦٣

(٤) ٢: ٩٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

بل المعنى الغريب الذى يوحى به السياق أن الله يدلل على قدرته على البعث بما يرونه ويشاهدونه صباح مساء من رؤية المرعى فى حالة ثم صيرورته إلى حالة أخرى . كما أن الإشارة هنا إلى حياة النبات توحى من طرف خفى إلى أن كل نبات إلى حصاد وأن كل حي إلى نهاية ، وهى اللمسة التى تتفق مع الحديث عن الحياة الدنيا والحياة الآخرة فى قوله

(بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى)[١] (والحياة الدنيا كهذا المرعى الذى ينتهى فيكون غثاء أحوى ،والآخرة هى التى تبقى)[٢]

فالآية على حد قوله تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا)[٣] قال

عبد الرحمن بن زيد : (هذا مثل ضربه الله للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها)[٤] .

٤- ومنه تفسير قوله تعالى : (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفاً والناشرات نشرا فالفارقات فرقا .فالملقيات ذكرا . عذرا أو نذرا وإنما توعدون لواقع)[٥] بالطائرات الحربية التى تعصف بقنابلها وتنشر المنشورات فى ميادين الحرب وعلى الأهالى والسكان فى المدن للدعاية والأخبار بما تريده الدولة المحاربة ، وتفرق بين الكتائب والجموع فرقا لأن الرعب بها والهزيمة أشد من غيرها بحيث لا يثبت تحتها جمع بل بمجرد رؤيتها من بعيد يكون الفرار والتفرق والإختفاء فى الكهوف والملاجئ فالملقيات ذكرا فى المنشورات ،عذرا تعتذر به الدولة عن ضربها بعض الأماكن البريئة ،والتى ليست من مراكز الحرب أونذرا تنذر به السكان وتخوف وتوعد وتهدد وتطلب التسليم ،ونحو ذلك من أنواع الإنذار كما هو معروف[٦]

والإنحراف فى هذا التفسير واضح حتى أن المطالع له يستغرب كيف يقوله عالم تفسير ، لقد أقسم الله مطلع هذه السورة على أن الوعد

---

(١) سورة الأعلى ، الآيتان ١٦، ١٧

(٢) فى ظلال القرآن جزء ٣٠ مجلد ٦ صـ ٣٨٨

(٣) سورة الكهف الآية ٤٤

(٤) انظر حاشية الجمل على تفسير الجلالين ٤ : ٥٢١ وتفسير القرطبى ٢٠ :١٨

(٥) سورة المرسلات ، الآيات ١-٧ (عرفا) أما ضد النكر أى ارسلن بالإحسان والمعروف وأما بمعنى متتابعة مأخوذة من عرف الفرس (عصفا) فالمسرعات إسراع الرياح العاصفات ،فالصف شدة الهبوب

(٦) مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية لأبى الفيض أحمد محمد الصديق الغمارى ط ٦ ، ١٩٧١م صـ ١٦

بالآخرة واقع بخمس طوائف من خلقه اختلف السلف فى حقيقة مدلولها ، فقال بعضهم : هى الرياح إطلاقا وقال بعضهم : هى الملائكة إطلاقا . وقال بعضهم إن بعضها يعنى الرياح وبعضها يعنى الملائكة[١] مما يدل على غموض هذه الألفاظ ومدلولاتها ، وهذا الغموض هو أنسب شئ للقسم بها على الأمر الغيبى المكنون فى علم الله وأنه واقع كما أن هذه المدلولات المعنية واقعة ومؤثرة فى حياة البشر[٢]

وإذا لا حظنا ما قاله بعض العلماء من أن الأقسام الواردة فى القرآن الكريم تتضمن تنبيه المخاطبين إلى شرف المقسم به وما لهم من ضروب النفع فيه أو كما قال الشيخ محمد عبده

(وإذا رجعت إلى جميع ما أقسم الله به وجدته إما شيئا أنكره بعض الناس أو احتقره، لغفلته عن فائدته أو ذهل عن موضع العبرة فيه وعمى عن حكمة الله فى خلقه أو انعكس عليه الرأى فى أمره فاعتقد فيه غير الحق الذى قرر الله شأنه فى نفس من يحتقره أو تنبيه الشعور إلى ما فيه عند من لا يذكره ، أو لقلب الإعتقاد فى قلب من أضله الوهم أو خانه الفهم[٣] ، إذا لاحظنا هذا فأين القسم بالطائرات الحربية التى أنتجها العقل فيما أنتج من وسائل الخراب والدمار ؟ وأين وجوه الانتفاع بها للبشرية جمعاء ؟ بل هى على العكس من ذلك تهلك الحرث والنسل وتنشر الفساد فى الأرض على أيدى قوم لا يرعون لله حرمة ولا للإنسانية إلا ولا ذمة)[٤]

والتماساً للمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه نرى الألوسى – بعد أن ساق الأقوال التى قيلت فى تفسيرها – قال : (والذى أخاله – أظنه – أظهر كون المقسم به شيئين: المرسلات العاصفات والناشرات الفارقات لشدة ظهور العطف بالواو فى ذلك ، وكون الكل من جنس الريح لأنه أوفق بالمقام المتضمن لأمر الحشر والنشر ، لما أن الآثار المشاهدة المترتبة على الرياح ترتبا قريبا وبعيدا تنادى بأعلى صوت حتى يكاد يشبه صوت النفخ فى الصور على إمكان ذلك وصحته ودخوله فى محيط مشيئة الله وعظيم قدرته[٥]

---

(١) انظر فتح القدير للشوكانى ، ط٢ ، ١٩٦٤م ، ٥:٣٥٥ وروح المعانى ٢٥٨٩ وغيرها من كتب التفسير

(٢) فى ظلال القرآن ، جزء ٢٩ مجلد ٦ صـ ٣٧٩١

(٣) تفسير جزء عم صـ ٩

(٤) الإل : الرحم أو القرابة أو العهد والتحالف معجم الألفاظ والأعلام القرآنية محمد إسماعيل إبراهيم ط٢ صـ٤٢

(٥) تفسير روح المعانى ، ٩ : ٢٥٩

٥- ومنه تفسير قوله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها. وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها)[١] باستخراج البترول والغاز وهو أعظم ثقل فى الأرض عندما زلزلت أى حركت بالآلات وفتح فيها آبار البترول والغاز وقال الإنسان : ما لها أى متعجباً مما تخرجه من ذلك ، فعند ذلك تحضر الساعة[٢]

وهو تفسير سقيم ، فإن السورة تصور ما سيحدث عندما يشاء الله بحكمته التى اختص بها لنفسه أن يفنى الحياة من فوق هذا الكوكب أى إذا جاءت الساعة التى تهتز فيها الأرض هذا الإهتزاز غير المعهود بحيث يدمر كل ما عليها أنه لن يكون زلزالا من نوع الزلازل المعهودة التى قد تدمر مدنا عظيمة فى لمحة البصر فحسب ولكنه سيكون الزلزال الموعود العام الشامل الذى سيقوض الكوكب الأرضى ويجعل كل ما عليها خراباً يباباً قاعاً صفصفاً وهو كما قال تعالى (إن زلزلة الساعة شئ عظيم) (وأخرجت الأرض أثقالها) جمع ثقل بالتحريك – وهو – على ما فى القاموس – متاع المسافر وكل نفيس مصون ، وتجوز به هنا عن كنوز الأرض ومعادنها ودفائنها أو جمع ثقل – بكسر فسكون – بمعنى حمل وهو كنوز الأرض وموتاها[٣] ، وهى على حد قوله تعالى (وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت)[٤]

ويوم أن تقع الواقعة فسوف يتساءل كل إنسان يكون على قيد الحياة وقتئذ وهو يشهد علامات الساعة عندما تبدأ الأرض فى الاهتزاز قائلا (ما لها ؟) أى ماذا أصابها ودهاها ؟

لماذا تتحرك بهذا العنف الذى يخلع القلوب ويهدد بالفناء الدمار (يومئذ) فى هذا الوقت وفى هذا اليوم (يحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها) أى أمرها أمراً تكوينياً لا تستطيع له خلافا أن تتزلزل وتضطرب وتصير إلى الخراب الشامل والدمار الكامل ،إيذانا بقيام الساعة وخراب العالم وأن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى .

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيات ١-٤

(٢) مطابقة الإختراعات العصرية ص ٢٧

(٣) أنظر ترتيب القاموس ، الطاهر الزاوى ط ٣ ، ١٩٨٠ ، ٤١٢:١

(٤) سورة الإنشقاق الآيتان ٣،٤

وأين هذا من التفسير العلمى ،فحركة الأرض بسبب الآلات واستخراج البترول لا يمكن أن يقال فيه زلزلت الأرض زلزالها على ما وصفنا كما أن الربط بين الشرط والجواب عليه سخيف ومتكلف ،لأنها لا علاقة بين استخراج البترول وقيام الساعة كما أنه على هذا التفسير تكون الساعة قد قامت وذهب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار !!

٦- ومنه تفسير قوله تعالى (يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤيه ومن فى الأرض جمعيا ثم ينجيه .كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى)[١] على النحو التالى :

إن المراد باليوم هو اليوم الذى تظهر فيه الطائرات وقاذفات القنابل المنفجرة والقنابل الذرية والصواريخ الغازية المدمرة فى السماء حتى تصبح من جراء ذلك كاللهب الأحمر أو كالشىء المذاب من الحرارة . واليوم الذى تكون فيه الجبال كالعهن أى كالقطن المتناثر من جراء الديناميت والمفرقعات والدبابات ونافثات اللهب من القنابل الذرية والإيدروجينية التى اخترعت حديثا والتى تحول الجبال والأبنية والأشجار والإنسان وسائر الحيوانات والنباتات إلى ذرات هوائية بحيث تجعل كل ما تصيبه هباء منثورا كما حصل ذلك سنة ١٩٤٥فى بعض المدن اليابانية فى هذه الحرب العالمية ، وهذا اليوم هو الذى يفر المرء فيه من أمه وأبيه ويود أن يفتدى من عذابه ببنيه وصاحبته وأخيه ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه من هذا اللظى النزاعة للشوى التى تدعو من أدبر عنها وتولى ،لسعة تأثيرها بحيث لا يمكن أن ينجو منها مقبل ولا مدبر .

ثم يستدرك من فسر الآية على هذا النحو قائلا :

ولكن حصوله فى الدنيا حسب ما بينا لا ينافى أصلا حصول ما هو أكثر منه وأنكى فى الآخرة أيضا يوم القيامة .[٢]

فى تصورى أن هذا الفهم لهذا النص الكريم على هذا النحو قائم على أمرين :

---

(١) سور ة المعارج ، الآيات ٨-١٨

(٢) القرآن على ضوء العقل عبد الله القيشاوى صـ٢٠ ٢١

الأمر الأول : الولوع بالتجديد والغرام بمخالفة القديم وتحكيم العقل فى غير موضعه.

الأمر الثانى : عدم التفطن إلى ما فى هذا الفهم من قطع للآيات عن سابقها وتمزيق لوحدتها وإغفال لسياقها وبعد عن أهدافها .

فسياق الآيات هنا يدل دلالة واضحة لا خفاء فيها على أن قوله تعالى : يوم تكون السماء كالمهل ..ألخ إنما هو انتقال من الرد على المكذبين بالعذاب الذى يظنونه بعيدا وغير واقع بالمرة إلى وصف ذلك اليوم الذى وصفه الحق تعالى أولا بأن مقداره خمسون ألف سنة ،ثم وصف ما سيحدث فيه بأن السماء تكون فيه كالمهل والجبال تكون كالعهن وما حصل أو سيحصل فى الدنيا من أنواع العذاب لا يساوى شيئا مما سيحصل فى ذلك اليوم الذى قال الله فيه (يوما يجعل الولدان شيبا)[1] هذه هى حال السماء وحال الأرض فى ذلك اليوم .

أما حال الخلائق فهى كما قال تعالى (ولا يسأل حميم حميماً) حميم الرجل : قريبه وصديقه الذى يهتم بأمره ، فمن شدة ما ينزل بهم جميعاً من الهول والفزع يتناكرون ويتدافعون يمينا وشمالا مشتغلا كل منهم عن غيره بنفسه وتلمس طريق الخلاص لها ، وينحصر همه فى ذلك بحيث لا يعود يسأل عن حميمه ما شأنه ؟ وكيف حاله ؟ وهذا كما قال فى آية أخرى : (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)[2] والقرآن يفسر بعضه بعضا .

ولما كان قد يفهم من عدم السؤال أنهم لا يرى بعضهم بعضا قال تعالى : (يبصرونهم) أى أنهم يبصر بعضهم بعضا وإنما الذى منهم من السؤال تشاغل كل بأمر نفسه .ثم وصف هول ذلك اليوم وأن الأمر لا يقتصر على ما تقدم بل الأمر أفظع من ذلك حتى يتمنى المجرم – المكذب الجاحد – لو تقبل منه فدية فيقدم فداء عن نفسه أقرب الناس إليه وألصقهم به وأعزهم عليه من ابن وزوج وأخ وأبناء عشيرة كان يأوى إليها ويتكل فى نوائبه عليها بل يتمنى لو تقبل منه فدية فيفتدى بأهل الأرض جميعا من البشر وغير البشر، ثم ينجيه ذلك الفداء وينقذه مما هو فيه من الكرب والشدة ولكن هيهات أن يستطيع ذلك ، فالجواب لما يتمناه كلا وما أشد هذه

---

[1] سورة المزمل الآية ١٦

[2] سورة عبس الآيات ٣٤ – ٣٧

الكلمة المؤيسة فلن ينفعه من هؤلاء أحد ولن يقبل منه عوض فقد أضاع الفرصة فرصة الإيمان والعمل الصالح ولات ساعة مندم إنها لظى التى كان يمارى فيها فى الدنيا ها هى ذى أمامه .

وهكذا أتبع الحق سبحانه كلمة الرفض والزجر العقاب المنتظر . فالنار تتلهب وهى نزاعة لجلد الرأس وغيره من شدة لظاها إنها تدعو إليها من تولى وأدبر عن الإيمان فى الدنيا ولم يراع حقوق الناس التى يوجبها الإيمان فى ماله بل جمعه وكنزه كأنه أصبح غاية وليس وسيلة لديه .

وهذا يتضح من هذا المعنى التصويرى الجميل لهذه الآيات الفرق بين هذا المعنى وبين المعنى الذى جاء به الكاتب وكأن القرآن لا بد أن يشتمل على كل شؤون الناس الدنيوية حتى حروب الإبادة والتنكيل بالإنسان على يد أخيه الإنسان .

وهناك رد موجز وهو أن يقال : من هو المجرم فى قولة تعالى (يود المجرم) هل هو من يصب العذاب على الناس الآمنين ؟ أم الناس الآمنون هم المجرمون ؟ لقد جعل المفسر الناس الذين يصب عليهم العذاب هم المجرمون ، وهذا لا يقوله عاقل .

٧- ومنه تفسير (الميكروبات) التى استطاع العلم الحديث بوسائله المختلفة معرفتها والكشف عنها (بالملائكة) واعتبارها نوعا منها ومما يدخل تحت لفظها وهكذا كل ما فى الكون من المادة وقواها باعتبار أن لفظ الملائكة مأخوذ من مألكه بضم اللام وفتحها –وهى الرسالة أو من لفظ لأك إذا أرسل وعليه فكلمة ملك تطلق على كل رسول فما يرسله الله تعالى إلى هذا العالم من المادة أو قواها يصح لغة أن يسمى ملكا بلا نزاع فالريح ملك أو رسول من عند الله والرعد كذلك ملك لأنه يرسله الله لتخويف عباده وهكذا ما فى هذا الكون من قوى المادة العظيمة كالمغناطيس والكهرباء .

فالميكروبات هى من رسل الله فى هذا العالم فيجوز أن تسمى ملائكة ومنها ما يحدث الأمراض المختلفة ولا تتحلل جثث الموتى إلا بالميكروبات فإذا انحلت الجثة خرجت منها غازات وعناصر وأجسام متنوعة .

وإذا ذهبنا إلى أن الروح هى جزء من مادة الأثير متحد بالجسم لا نستبعد خروج الروح عند انحلال الجسم بسبب عمل الميكروبات فيه وعلى ذلك يحمل قوله تعالى :

(ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم)[١] فغمرات الموت من (غمر) ومعناها وجود الجسم فى أشد دركات الموت التى تغمره وهو وقت انحلال الجثة وبسط اليد كناية عما تفعله الميكروبات بلسان حالها ،كما قالت السموات والأرض (أتينا طائعين)[٢] والتعبير عن (الميكروبات) بضمير العاقل هو سنة القرآن من أوله إلى آخره فإنه يعبر غالبا عن كل ما يعمل عملا من أعمال العقلاء بضميرهم

ولا يتوهم أحد أننا ننكر وجود بعض أنواع أخرى من جنود الله التى لا يعلمها إلا هو كلا ثم كلا فإن الإيمان بالملائكة بالمعنى المشهور فرض على المسلم .

ضوابط للتفسير بمكتشفات العلم التجريبى

من خلال الآراء والمذاهب فى قبول تفسير القرآن الكريم بمكتشفات العلم التجريبى أو رفضه تكونت لدى العديد من الباحثين ضوابط وشرائط لابد من مراعاتها والالتفات إليها والعناية بها عند التعرض لتفسير بعض الآيات القرآنية من وجهة النظر العلمية التجريبية. من أظهر وأشهر هذه الضوابط:

أولاً: تفهم مهمة القرآن الأساسية

فالقرآن الكريم كتاب هداية للبشرية يهديها إلى باريها ويبين لها الصراط المستقيم الذى يجب أن تسير عليه لتسعد فى دنياها وأخراها.

(إن هذا القرآن يهدي للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) الإسراء: ٩

فقد جاء القرآن الكريم ليبين للناس مهمتهم التى خلقوا لأجلها وكلفوا بها فى هذه الحياة وهى عبادة الله جل وعلا وحده (وما خلقت الجن

---

[١] سورة الأنعام الآية ٩٤

[٢] سورة فصلت الآية ١١

والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات ٥٦/٥٨

وقد سلك القرآن الكريم كل المسالك والسبل من فطرية وعقلية ليبين لهم هذا الحق ويحملهم عليه ويدعوهم إليه. فذكر الإنسان بأصله. ودعاه إلى التفكير فى نفسه (وفى أنفسكم أفلا تبصرون)

ونبهه إلى ما حوله فى هذه الأرض التى تقله والسماء التى تظله. فبسط له الأرض ويسر وأودع فيها وعليها ما ينفع الإنسان ويدل على قدرة الخالق وعظمته ورحمته إلى غير ذلك من خلق الله وعظيم آياته التى تدل عليه وتدعو إليه. فيتعين أن تبقى الدراسات القرآنية المتعلقة بالآيات الكونية فى حدود هذا الغرض ومحققة له. لأن استغلال هذه الموجودات والاستفادة المادية منها فقط دون الاهتداء بها إنما هو منهج جاهل، جاحد ، ضال. لأن هذه الآيات الموجودة، وهذه العظمة القائمة، والدقة المتناهية فى هذا الخلق بأرضه وسمائه ببحاره ومجراته بحيوانه ونباته، بإنسانه وكل أجزائه إنما هى شواهد قواطع، وبراهين سواطع على وجود الله جل وعلا. وقدرته وعظمته وإنه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى يجب أن تصرف العبادة له وحده. فالإنسان الذى يشهد ويشاهد كل هذه المخلوقات والمشاهد ثم لا يهتدى إنما هو أضل من حمار أهله. وتأمل قوله تعالى وكفى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) الأعراف ١٧٩

ثانياً: الاعتدال فى التناول دون إفراط أو تفريط

بعد أن تقرر أن القرآن الكريم كتاب هداية وأن فيه الكثير من الآيات البينات التى تذكر الكون وتذكر الإنسان بما فيه من دقائق وحقائق عليه أن يلتفت إليها ويستفيد منها ويستدل بها. ولا يصح إهمالها أو الإعراض عنها. بل ينبغى أن تتناول فى هذا النطاق دون إغراق فى بحث خصائصها ودقائقها لأن هذا المسلك يحول التفاسير إلى كتب اختصاص لهذه العلوم. ويحول دون تأثير القرآن فى النفوس وإنارته للقلوب وهدايته للعقول. وهو الهدف الأساسى له ولعل مسلك الإفراط فى التناول وعدم الاعتدال فيه. وحشو التفاسير بتلك التفاصيل التى فيها ما يصح وما لا يصح كان أحد أسباب رفض هذا النوع من التفسير.وكما ننتقد حشو

التفاسير بالاسرائيليات، والاستطرادات النحوية، والعقدية وخلافها. فهذا من ذاك.

فالقرآن الكريم إنما يشير إلى مجمل الحقيقة دون تفسير وتفصيل. وفى هذه الإشارة عظيم الدلالة على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد. وليس من عند بشر إذ لو كان من عند غير الله لوجد الناس فيه اختلافاً كثيراً وكبيراً.

ثالثاً: الاقتصار على الحقائق

ينبغى الاقتصار فى تفسير آيات القرآن الكريم على الحقائق العلمية القطعية اليقينية. دون النظريات والفرضيات العلمية لأن النظريات قابلة للتغير والتبدل. فربطها بالآيات وتفسير الآيات بها. ثم تغير التفسير بتغير النظرية يوقع فى بعض النفوس ظلالاً من الشك والريب. وما أغنانا عن ذلك.

رابعاً: اليقين باستحالة التعارض الصريح بين حقائق القرآن الكريم والحقائق العلمية

ينبغى أن يكون فى عقيدة ويقين كل مسلم استحالة التعارض والتصادم بين صريح دلالة آية قرآنية، وحقيقة علمية قطعية يقينية على الرغم من تقدم العلوم وكثرة حقائقها وقواعدها على امتداد الزمان واختلاف المكان وهذا الأمر من المسلمات البدهيات فى عقيدة المسلم. وهذا من أظهر وأبهر وجوه الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم.

ومرد ذلك انسجام العقائد فى الإسلام لأن الحقائق القرآنية، والحقائق العلمية تخرج من مشكاة واحدة، وتصدر من مصدر واحد، فهذا الكون خلق الله، وهذا القرآن كلام الله.

ولن يخبر الله فى كتابه بخلاف حقائق خلقه فهو خالقها بهيئاتها وحقائقها ودقائقها لا يعزب عن علمه منها شئ. (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك : ١٤

(قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً) الفرقان: ٦ . وما قد يلوث فى بعض الأذهان من توهم بوجود تناقض وتعارض إنما هو سوء فهم لإحدى الحقيقتين القرآنية أو العلمية، لأن التعارض والتصادم بينهما مستحيل قطعاً. فقد تكون الآية غير

صريحة فى دلالتها فالوهم فى سوء الفهم ، أو أن تكون المسألة نظرية علمية لا حقيقة علمية.

خامساً: الاستفادة من مزايا التعبير القرآنى الكريم

يمتاز الأسلوب القرآنى الكريم بمزايا باهرة قاهرة من أظهرها مرونة أسلوبه، وخصوصية كلماته، وسعة دلالة مفرداته ، ودقة عباراته، ودقة العبارة لا تعنى ضيق الدلالة، ولهذا كان القرآن الكريم حمال وجوه، تتسع الآيات لوجوه من التأويل تكون معه آياته أوسع من أن تحصر فى دلالة ضيقة ولا ينبغى أن يساء هذا الفهم لتحمل الآيات ما لا تحتمل ويستخرج منها ما لا تدل عليه.

إذ إنها سعة داخل دلالة الكلمات واستعمالاتها اللغوية الصحيحة وهذه الميزة تؤدى إلى عدم حصر دلالة الآية على حقيقة علمية واحدة فإذا ما اتسعت دلالة الكلمة القرآنية لغوياً، وأيدت حقيقة علمية إحدى هذه الدلالات فإنه يؤخذ بها لكن ينبغى ألا يكون على سبيل الحصر والقصر عليها، ويحكم ببطلان ما عداها من الدلالات الأخرى للمفردة القرآنية فليس ببعيد أن تكون الحقيقة العلمية المكتشفة إحدى دلالات الآية القرآنية لا كل دلالتها فلا نتحجر فى دلالة الآية واسعاً.

فقد علل المتقدمون تخصيص ذكر البنان فى قوله تعالى (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) بتعليل صحيح سليم. وكشف العلم التجريبى المتأخر عن خاصية للبنان كانت مجهولة فتكشف شئ من سر تخصيصه بالذكر وقد تكشف قوادم الأيام ما لا يعرف الآن. وهكذا باقى الآيات.[1]

فسبحان الذى خلق فسوى. والذى قدر فهدى.

ملحق (١)

الشيخ / محمد عبده والتفسير العلمى

إن أبرز طلائع النهضة الحديثة فى تفسير القرآن هو الشيخ الامام محمد عبده الذى ولد عام ألف وثمانمائة وأربعين ١٨٤٨م ، وتوفى عام ألف وتسعمائة وخمسة ١٩٠٥م ، وهو يعد صاحب مدرسة التطور الحديث فى التفسير وغيره من الأفكار الدينية والاجتماعية، غير أنه لم يترك للناس

(١) انظر: مباحث فى اعجاز القرآن د. مصطفى مسلم ١٥٢/١٥٦

إلا ثروة يسيرة فى التفسير بالقياس إلى مكانته العلمية، فقد ترك تفسيراً لجزء (عم) وهو مطبوع فى كتاب ذائع شائع بين المثقفين، ولكنه كتاب مدرسى ألفه ليكون مرجعا لمدرسى مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التى كان له فضل فى رعايتها، وهو لهذا لا يكشف كشفاً تاماً عن منهجه فى تفسير القرآن، وقد توخى فيه سهولة العبارة وقلة وجوه الاعراب، كما ترك تفسيرا مطولاً لسورة العصر وتفسيراً لبعض الآيات التى يثير حولها أعداء الاسلام كثيراً من الشبهات والأباطيل مثل الآيات:

(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الآيات[١] . وقد فند فيها قصة (الغرانيق) [٢] تنزيهاً للنبى صلى الله عليه وسلم عما قيل عنه فيها.[٣]

وكتفسيره للآية (وإذا تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبدية وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه.[٤]

وكتفسيره لسورة البقرة وآل عمران والنساء، وكان ذلك تدريساً لتلاميذه فى الأزهر الشريف، وقد دون تفسيره لما ذكر تلميذه وترجمان أفكاره الشيخ محمد رشيد رضا.[٥]

وبالرجوع إلى تفسير جزء عم نجد أنه يفسر بعض الآيات فى ضوء العلم الحديث، ففى تفسير قوله تعالى (وإذا البحار سجرت)[٦] يقول:

---

(١) سورة الحج: الآية ٥٠-٥١

(٢) الغرانيق-جمع غرنيق بضم أوله المعجم وفتح النون يطلق على طائر عظيم، وعلى الشاب الأبيض الجميل فهو تشبيه.

(٣) انظر القصة وتفاصيلها والرد عليها فى تفسير التحرير والتنوير ١٧:٣٠٣ وما بعدها

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٧

(٥) انظر اتجاه التفسير ، مصطفى الطير الحديدى ص ٤٦ وما بعدها

(٦) سورة التكوير ، الآية ٦

أما تسجير البحار فهو أن يفجر الزلزال ما بينها حتى تختلط. وتعود بحرا واحدا، وهو بمعنى فإن كل واحد منها يمتلئ حتى يفيض ويختلط بالأخر.

ثم قال: وقد يكون تسجيرها إضرامها ناراً، فإن ما فى بطن الأرض من النار إذ ذاك يظهر بتشققها وتمزق طبقاتها العليا، أما الماء فيذهب عند ذلك بخاراً، ولا يبقى فى البحار إلا النار

أما كون باطن الأرض يحتوى على نار فقد ورد به بعض الأخبار، ورد أن البحر غطاء جهنم وإن لم يعرف فى صحيحها، ولكن البحث العلمى أثبت ذلك، ويشهد عليه غليان البراكين وهى جبال النار، كما تشهد عليه الزلازل الشديدة التى تشق الأرض والجبال فى بعض الأطراف كما وقع فى (جاوا) من عدة سنوات، فإن أثار النار فى بطن الأرض قد ظهرت فيه ظهوراً لا شبهة على الذهن بعده .[١]

وفى تفسير قوله تعالى (إذا السماء انشقت) يقول:

(انشقاق السماء مثل انفطارها الذى مر تفسيره.. وهو فساد تركيبها واختلال نظامها عندما يريد الله خراب هذا العالم الذى نحن فيه، وهو يكون بحادثة من الحوادث التى قد ينجر إليها سير العلم كأن يمر كوكب فى سيره بالقرب من أخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره ويحدث من ذلك غمام وأى غمام يظهر فى مواضع متفرقة من الجو والفضاء الواسع، فتكون السماء قد تشققت بالغمام واختل نظامها حال ظهوره.[٢]

وقد انتقده بعض العلماء فى هذا التفسير لخراب العالم، لأن الكون أعظم من أن يختل نظامه بمجرد ضرب كوكب فى أخر من المجموعات الشمسية، فما أكثر المجموعات الشمسية التى تتجاوز الأرقام الحسابية التى عرفها البشر! وما أصغر أفكار البشر فى شأن مستقبل العالم خراباً أو عماراً. فمثل ذلك يجب تفويض الأمر فيه إلى الله تعالى فهو علام الغيوب.[٣]

وقد يكون الشيخ محمد عبده قصد بذلك تقريب معانى القرآن وما يخبر به من عقول الناس بما هو معهود عندهم ومسلم لديهم، فضرب لذلك مثلا دون أن يقصد أنه أمر لابد منه.[٤]

---

(١) تفسير جزء عم: ٢٦ ط بولاق ، ١٣٢٢ هـ

(٢) المصدر نفسه ص ٤٩

(٣) انظر: اتجاه التفسير فى العصر الحديث-مصطفى الطير-ط مجمع البحوث الاسلامية ٢٩٧٥ م

(٤) التفسير والمفسرون ٣:٢٣٤

كما نجد محمد عبده يستعين بسنة الجاذبية[١] العامة التى لم تكتشف إلا حديثاً بعد نزول القرآن بنحو ألف سنة، على تفسير قوله تعالى (والسماء وما بناها) [٢]

(السماء اسم لما علاك وارتفع فوق رأسك، وأنت تتصور عند سماعك لفظ السماء هذا الكون الذى فوقك فيه الشمس والقمر، وسائر الكواكب تجرى فى مجاريها وتتحرك فى مداراتها، هذا هو السماء وقد بناه الله أى رفعه وجعل كل كوكب من الكواكب بعضها إلىَ بعض برباط الجاذبية العامة كما ترتبط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها ما تتماسك به.[٣]

وفى تفسيره لسورة الفيل نراه يجمل معنى آياتها فى عبارة موجزة تصور ما فى السورة من هداية وعظة، ثم يقول:

(وكان يمكننا أن نكتفى بذلك المعنى من الآيات ولا نزيد عليه أدنى تفصيل، وهو كاف فى الاعتبار والعظة، وليته فعل، ولكنه تابع الكلام وذكر ما قال أنه تواتر من الواقعة، إلى أن قال (وفى اليوم الثانى فشا فى جند الحبش داء الجدرى والحصبة)

ثم ذكر رواية عكرمة أن أول ما رئيت الحصبة والجدرى ببلاد العرب فى ذلك العام ثم عقب على ذلك بقوله:

(هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به) واستطرد قائلا:

(وقد بينت لنا هذه السورة أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير ما يرسله الله مع الريح، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض ، وأن تكون هذه

---

[١] ملخص قانون الجاذبية:أن أى جسم مادى يجذب الجسم الذى يجاوره بقوة تتناسب مع حاصل ضرب الكتلتين مقسوماً على مربع المسافة بين الجسمين فقط. (الكون بين الدين والعلم) محمد جمال الدين الفندى، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الكتاب الرابع عشر، ص ٣٢

[٢] سورة الشمس الأية٥

[٣] تفسير جزء عم ص ٩٥

الحجارة من الطين المسوم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسم دخل فى مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وإن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وأن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن (بالميكروب) لا يخرج عنها.

هذا ما يصح الاعتقاد عليه فى تفسير السورة، وما عدا ذلك فهو ما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته.[١]

هذا ما قاله الشيخ محمد عبده فى تفسيره لسورة الفيل، وقد أخذت عليه فى تفسيره هذا مأخذ كثيرة:

أولاً : أن حديث الجدرى والحصبة ما كان ينبغى له أن يعول عليه فى تفسير سورة بدأها الله بصيغة التعجب والتعظيم لصنعه بما أنزله بهؤلاء الطغاة تمهيداً لمبعث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد عرض ابن الاثير فى كتابه (الكامل فى التاريخ) لهذا الحديث فقال: (وقد قال كثير من أهل السير: إن الحصبة والجدرى أول ما رئيا فى العرب بعد الفيل، وهذا مما لا ينبغى أن يعرج عليه، فإن هذه الأمراض قبل الفيل منذ خلق الله العالم.[٢]

ثانياً: قوله ، بعد أن ذكر حديث الجدرى والحصبة (هذا ما اتفقت عليه الروايات) مع أنها فى حقيقة الأمر لم تتفق على هذا الذى ذكره، بل ذكرت بعض الروايات أن هذه الطير كانت أشبه ما تكون بالطير المسمى بالخطاف.[٣] وبعضها ذكر أنها أشبه باليعاسيب.[٤] وقد أقبلت من جهة البحر فى جماعات إثر جماعات حاملة فى مناقيرها وأرجلها حجارة صغيرة فى حجم الحمصة أو حصى كحصى الخذف فألقتها على الجيش الظالم، فتساقط هلاكاً وفناء.

والسورة الكريمة لم تبين نوع الطير الذى رمى أصحاب الفيل بالحجارة ولا وصفت الحجارة التى رمتها، لأن فهم الآية والمقصود منها

---

[١] تفسير جزء عم ص ١٥٨

[٢] الكامل فى التاريخ ١٩٩:١ ط الأولى ١٣٠ هـ

[٣] نوع من الطيور الليلية

[٤] ذكور النحل وأمراؤها

لا يتوقف على هذا التفصيل. فالسورة صريحة فى أن أسراباً من الطير أرسلها الله على هؤلاء المعتدين فأضعفت قواهم وأبطلت كيدهم وردتهم على أعقابهم خاسرين. والحمل على هذا أولى لأنه تبقى السورة على ظاهرها ويبقى الحادث على وضعه الإعجازى إرهاصا للنبوة الخاتمة.

ثالثا: إنه لم يعرف فى اللغة العربية التى نزل بها القرآن واستعمالاتها إطلاق لفظ (الطير) على الحيوان المسمى (الميكروب) وأن العرب المخاطبون فى وقت المواجهة بالخطاب التعجيبى الذى افتتحت به السورة لا يعلمون شيئا عن هذا الحيوان.

رابعا: قوله (وقد بينت السورة الكريمة أن ذلك الجدرى وتلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة. السورة الكريمة يقرؤها ويحفظها عن ظهر قلب أكثر المسلمين، وهى لم تعرض لذكر الجدرى والحصبة فضلا عن أن تبين حقيقتهما ومنشأهما).

خامسا: تفريعه على ما فرضه واقعا من حديث الجدرى والحصبة إنه يجوز لمن يريد فهم معانى القرآن ليؤمن بها أن يعتقد أن هذا الطير الذى أرسله الله على أصحاب الفيل من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم الأمراض. وأن هذا الحيوان الذى يسمى (الميكروب) من هذا الطير فهو تحميل لآيات القرآن فوق طاقة أساليب اللغة العربية، وفوق طاقة أفهام من نزل القرآن لتعجيبهم من شأن هذه الحادثة المبدعة إرهاصا لمقدم بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين.[1]

وفى هذا المعنى يقول الدكتور طه حسين: (فهؤلاء الذين يزعمون أن الطير الأبابيل وما رمت به جيش الحبشة أمام مكة إنما كانت وباء من الأوبئة، وكانت الحجارة ضربا من الميكروبات إنهم يقولون هذا من عند أنفسهم، وهم يعلمون حق العلم أن النبى وأصحابه لم يفهموا هذه السورة على هذا النحو، فهم لم يكونوا يعرفون الميكروب، وما كان لهم أن يعرفوه.[2]

سادسا: ما هو الوباء الذى يصيب فى أرض واحدة طائفة من الناس من جنس معين ويستثنى بقية سكان البلد. والمعهود فى الأمراض السارية انتشارها مع الهواء بين سكان المنطقة دون تفريق.[3] وإن المألوف فى الجدرى والحصبة لا يتفق مع ما روى من الأثار التى تركها الحادث بأجسام الجيش وقائده ، فإن الجدرى وكذا الحصبة لا يسقط الجسم عضوا عضوا وأنملة أنملة ولا يشق الصدر عن القلب، مع أن هذه الصورة هى التى يوحى بها النص القرآنى إيحاء مباشرا وقريبا، حيث جاء فيه (فجعلهم كعصف مأكول)[4]

---

(١) هذه المآخذ مقتبسة من كتاب (القرآن العظيم-هدايته واعجازه فى أقوال المفسرين) ص٢٤١

(٢) مرآة الإسلام ص ٢٤٣ ط القاهرة ١٩٦٦

(٣) التيارات الفكرية الحديثة وأثرها فى التفسير، إبراهيم عبد الحميد الكيلانى.

(٤) فى ظلال القرآن، سيد قطب ط دار الشروق ٣٩٧٨:٦

ملحق (٢)

الشيخ طنطاوى جوهرى والتفسير العلمى

ولد الشيخ طنطاوى جوهرى عام ١٨٦٢م وقد نشأ محباً لدينه ذا رغبة قوية فى توجيه المسلمين إلى الايمان الراسخ بالله تعالى عن طريق النظر فى ملكوته وأثار نعمته ورحمته.[1] وقد كان يؤمن بأن القرآن لا يفسر إلا بالعلم الحديث، فألف تفسيراً للقرآن الكريم سماه (الجواهر فى تفسير القرآن الكريم) وضعه فى خمسة وعشرين جزءا، مزج فيه كما قال الآيات القرآنية بالعجائب الكونية.[2]

ولقد أمل من تأليف هذا التفسير كما يقول أن يشرح الله به قلوباً ويهدى به أمماً وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين فيفهموا العلوم الكونية.

كما يقرر أن فى القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، فى حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية، كما يقرر فى الوقت نفسه – أن الإسلام جاء لأمم كثيرة ، وأن سور القرآن متممات لأمور أظهرها العلم الحديث .

كما يتحدث عن تفسيره هذا ويصرح بأنه نفحة ربانية وإشارة قدسية وبشارة رمزية أمر به بطريق الإلهام .

وكثيراً ما يهيب بالمسلمين أن يتأملوا فى آيات القرآن التى ترشد إلى علوم الكون ويحثهم على العلم بما فيها ، ويندد بمن يغفل هذه الآيات على كثرتها ، وينعى على من أغفلها من السابقين ، ووقف عند آيات الأحكام وغيرها مما يتعلق بأمور العقيدة . ويكرر هذا القول فى كثير من مواضع الكتاب .

طريقته فى التفسير :

أما طريقته فى تفسيره فإنه يبدأ بالتفسير اللفظى للآيات التى يعرض لها ، ثم يتلوه بالشرح والإيضاح والكشف ، متوسعاً فى الفنون العصرية والعلوم الكونية . كما نراه ينقل عن التوراة والإنجيل كثيراً .

---

(١) اتجاه التفسير فى العصر الحديث ص ٥٥

(٢) تفسير الجواهر ط٢ مصطفى الحلبى ٢:١

ومن قوله هنا – سورة الفاتحة – (الحمد لله رب العالمين) .

ثم ذكر فى معنى قوله تعالى: (رب العالمين) أنه تعالى مربى العوالم كلها ومرقيها من حال النقص إلى حال الكمال وغايات التمام ، فهو الذى يتعهد النباتات بالتغذية والإنماء ، وهكذا الحيوان والإنسان ، وكذا العوالم العلوية . وهذه هى التربية التى كان مبدؤها الرحمة . ثم ذكر عددا من المسائل فى هذه التربية : (الأولى) فى الذرة و(الثانية) فى القمح و(الثالثة) فى تربية الثمرة فى النخلة و(الرابعة) فى تربية اللؤلؤ فى البحر و(الخامسة) فى تربية الجنين فى بطن أمه و(السادسة) فى تربية الولد باللبن و(السابعة) فى التربية الطبية و(الثامنة) فى التربية بالمدارس و(التاسعة) فى تربية الله للعقول بعلم المنطق لإدراك العلوم العالية ، وبلغ ما كتبه فى ذلك أربع صفحات .

ثم تكلم عن معنى العالمين ، فعرف العالم بأنه ما سوى الله تعالى، وقسمه إلى قسمين: عالم علوى وعالم سفلى . والعلوى هو الكواكب والشمس والقمر والسيارات وأقمارها، ثم وضح ذلك بضرب مثل ، ثم قال:

وهذه الشموس وحركاتها ونظامها لا يتسنى لك معرفتها إلا بعلم العدد والحساب والهندسة وعلم الجبر والفلك (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)[1] .

ثم تكلم عن العالم السفلى وقال : إنه ما فى البر من مخلوق حى وما فى الأرض من معدن ونبات وحيوان وإنسان . ثم تكلم عن عالم البحار بإسهاب . ثم ذكر النبات والحيوان وعلم التشريح وقال : ألا فليعلم المسلمون أنهم لا يحمدون الله حق حمده ولا يشكرونه حق شكره إلا إذا درسوا هذه العلوم وعرفوا ما تفرع عنها وانتفعوا بها ونفعوا الناس بفوائدها.

ثم يستشعر ورود اعتراض عليه ، خلاصته : لماذا يحمل الفاتحة ما لا تحتمل ؟ ويجيب عنه فيقول :

" لعلك تقول ما لى أراك تحمل الفاتحة وتدخل فيها من العلوم ما لا يعقل ، مع أن الناس يقرؤونها ولا يلحظون ما تذكر ، ويكررونها صباحا

---

[1] سورة يونس ، الآية ٥ .

كما يرد على بعض النصارى والمستشرقين. [1]

كما يستشهد بكلام علماء الغرب ، وكثيراً ما يضع فى تفسيره صور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة والتجارب العلمية والجداول الإحصائية .

وقد طبق فى تفسيره القرآن على النظريات العلمية الحديثة واستخرج هذه النظريات من القرآن ، فجاء تفسيره مزيجاً من علوم الأمم قديماً وحديثاً ، مع التوفيق بين الآراء الحديثة والأفكار الدينية . وأول ما يتصفح القارئ هذا التفسير يصادفه تفسيره لسورة الفاتحة، وفيها يظهر تطبيقه لمنهجه فى التفسير .

ومن ضمن ما جاء فى تفسيره لها قوله :

"لما كان أكثر الناس لا يلحظون العجائب الكائنة فيهم ، ولا يعرف نفسه إلا قليل منهم وهم أكابر الحكماء والأولياء وجب أن أبين فى هذا المقام بعض رحمته – عز وجل – فى العالم المشاهد .. وذكر قصة طريفة لرحمة الله ببعض الحيوانات الضعيفة ... وبعد كلام طويل أبان فيه اختصاص الحمد بالله تعالى وأن العرب كانوا يحمدون ملوكهم وأمراءهم والمحسنين منهم . فلما جاء القرآن أمرهم أن يقصروا الحمد على الله تعالى . وكيف أثر ذلك فى نفوس العرب حتى فتحوا الأمم شرقاً وغرباً وأخرجوا الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام . أتبع ذلك بهذه الترجمة : (الشريعة الإسلامية والنظر فى الآفاق وفى الأنفس) .

وتحت هذا العنوان كتب صفحة ونصفاً فى الحض على النظر فى آيات العلوم الكونية القرآنية ، وذكر أننا ينبغى أن ندرس علوم الهيئة والفلك والحساب والهندسة وعلم المعدن والنبات والحيوان وسائر علوم هذه الدنيا ، وأن دراستها من الدين ، فيكون علم الدين على قسمين :

العلم الأول : علم الآفاق ، والأنفس . والعلم الثانى: علم الشريعة . وبذلك ترى العالم الدينى شارحاً للنبات والحيوان ، والآخر يدير المعمل الكيماوى ، وهذا من قوله تعالى:

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[2]

---

[1] انظر تفسير الجواهر ١٢٢:٢

[2] سورة فصلت ، الآية ٥٢ .

ومساءً ولا يتهيأ لهم ما تصنع ، وإنما تفعل هذا استطراداً لا استنباطاً ، وتطويلا لا تأويلا ، وتعليما لا تفسيرا ، وإكثاراً لا استخراجا . ثم يتولى الإجابة . وخلاصة جوابه : انه ليس من الضرورى أن كل قارئ يلحظ ذلك وما يعقلها إلا العالمون . وذكر أن مثل ذلك كمثل فلاح ركب دابة ومعه ولده واتجه إلى حقله فرأى مهندسا وعالما طبيعيا وحكيما إلهيا ، فكل واحد من هؤلاء تختلف نظرته إلى الحقل عدوا وانخفاضا ، فيقاس عليها نظرات الناس فى الفاتحة " .

وهذا الجواب – فى الواقع – غير مقنع فإن القرآن أنزل للهداية لا ليكون موسوعة لكل العلوم ، فيجب أن تصرف آياته وكلماته إلى مفهومها اللغوى أو المأثور عنه ﷺ ، ومن الممكن تأليف كتب مستقلة عن التفسير فى هذه العلوم ، ولا مانع من تضمينها إشارات القرآن إليها ، باعتباره قد دعا إلى جميع العلوم التى تنفع الناس[1].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا :

" وقد ذهب بعض المعاصرين مذهباً بعيداً فى تفسير الفاتحة وغيرها من القرآن حيث يرى أن تفسير لفظ (العالمين) – مثلا – يقتضى بيان كل ما وصل إليه علم البشر من مدلول هذا اللفظ ، وأن تفسير لفظة (الرحمن الرحيم) يقتضى بيان كل ما يعرف من نعم الله وإحسانه بخلقه وإلى خلقه من كل وجه ، فاتباع هذا المذهب فى تفسير الفاتحة أو آية أو كلمة منها لا يكمل إلا بكتابة ألوف من المجلدات يدون فيها كل ما وصل إليه علم جميع علماء الأرض فى أعيان العالم وصفاتها وأحوالها من أدنى الحشرات إلى أرقى البشر .

وإن عد مثل هذا من التفسير إضلال عن القرآن ، وإنما يحس فى التفسير تذكير المؤمن بأن لا يغفل عن ذكر الله والتفكر فى آيه ورحمته ونعمه فى كل نوع من مخلوقاته عند النظر فيها [2] .

والشيخ طنطاوى جوهرى ، فوق هذا ، ينخدع بدعوى علم تحضير الأرواح ودعاته، بل ويؤمن به ويدافع عنه ويستنبطه من القرآن ، فهو عند تفسير قوله تعالى : (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ...) الآيات[3] .

نجده يعقد بحثاً فى عجائب القرآن وغرائبه ، فيذكر ما انطوت عليه هذه الآيات من عجائب ويذكر من بينها (علم تحضير الأرواح) الذى

---

(١) أنظر اتجاه التفسير فى العصر الحديث ، مصطفى الطير ، ص ٧٢ .

(٢) تفسير المنار ١٢:١ .

(٣) سورة البقرة ، الآيات ٦٦-٧٢

ظهر أخيراً . والمناسبة التى يستطرد منها إلى هذا البحث هى إحياء الله لقتيل بنى إسرائيل لما ضرب بشئ من لحم البقرة التى أمروا بذبحها ، فيقول :

" وأما علم تحضير الأرواح فإنه من هذه الآية استخراجه ، إن هذه الآيات تتلى والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أولا ثم بسائر أوروبا ثانيا " . ثم ذكر نبذة طويلة عن مبدأ ظهور هذا العلم وكيف كان انتشاره بين الأمم ، وقائدة هذا العلم واستغرق ذلك منه خمس صفحات ، ثم قال :

" ولما كانت السورة التى نحن بصددها قد جاء فيها حياة العزير بعد موته وكذلك حماره ، ومسألة الطير وإبراهيم الخليل ، ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الطاعون فماتوا ثم أحياهم الله ، وعلم الله أننا عاجزون عن ذلك جعل قبل ذكر تلك الثلاثة فى السورة ما يرمز إلى استحضار الأرواح فى مسألة البقرة ، كأنه يقول :

إذا قرأتم ما جاء عن بنى إسرائيل فى إحياء الموتى فى هذه السورة من أواخرها فلا تيأسوا من ذلك فإنى قد بدأت بذكر استحضار الأرواح فاستحضروها بطرقها المعروفة (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)[1] ، ولكن ليكن محضر الأرواح ذا قلب نقى خالص على قدم الأنبياء والمرسلين كالعزير وإبراهيم وموسى ، فهؤلاء لعلو نفوسهم أريتهم بالمعاينة ليطمئنوا وأنا أمرت نبيكم أن يقتدى بهم فقلت : (فبهداهم اقتده)[2] فاقتدوا بهم فى تعلم ما تطمئنون وتوقنون ، لكن قبل ذلك اقتدوا بالأنبياء فى طهارة القلوب وزوال الرجس من النفوس، فإن هذه الأمور إنما تعرف بالتجربة والعمل لا بالقياس العقلى ولا بالنظر والحدس الفكرى [3] .

هكذا يقول الشيخ طنطاوى جوهرى عن تحضير الأرواح وأخذه من القرآن ، وهو أمر غريب فى تفسير القرآن لأنه بعيد عن معناه وعن أهدافه وأغراضه السامية ، فكيف يسوغ القول بأن علم تحضير الأرواح يستخرج من هذه الآية؟ وهى أبعد ما تكون عن ذلك .

وهذا العلم ذاته لم يكن مسلماً به عند المسلمين على الأقل ، وكيف يجوز أن نقول القرآن ما لم يقل ؟ .

---

(١) سورة النحل ، الآية ٤٣ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٩١ .

(٣) تفسير الجواهر ٨٤:١ – ٨٩ .

" إن علم تحضير الأرواح علم كاذب فلا يوافق الدين على الإيمان به فضلاً عن جعله تفسيراً لآية من القرآن الكريم ، ولا يعترف بأخبار الأرواح التى تحضر عن طريقه فهى أرواح جن تكذب بادعائها أنها الأرواح المطلوب إحضارها ومكالمتها . وكيف يمكن أن تكون صادقة وهى تقول عن نفسها أخباراً غير مطابقة لحالتها التى كانت عليها فى الحياة ؟ وكيف يمكن استحضار الأرواح حقيقة فى حين أن السلطان عليها لله وحده "[1] .

إن روح الإنسان – وهى ذلك السر اللطيف الذى خص الله نفسه بعلمه – بعد وفاته تغادر الجسد وتذهب إلى خالقها لتلقى مصيرها وجزاءها ولا سلطان لمخلوق بعد ذلك عليها ، فالنفس التى عرفت ربها وأشفقت من عذابه وعملت لمرضاته فى مستقرها فى البرزخ تنعم بروح وريحان . وأما النفس التى كفرت بأنعم الله وملأت الأرض ظلماً وطغيانا فهى حبيسة برزخها الأرضى ، فالله تعالى يقول :

(فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصليه جحيم)[2] .

ولم يرد فى القرآن ولا فى السنة المطهرة ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة والتابعين ما يفيد إمكانية التخاطب مع الموتى عن طريق ما يزعمونه تحضير الأرواح . وكثيراً ما تأزمت أمور وجدت قضايا لو قال الميت فيها كلمة واحدة لا نتهى الأمر . ولو فرضنا جدلا أنه أمكن تحضير الأرواح لتحدثت عن حياتها الجديدة وعما تجده من نعيم أو يقع عليها من عذاب ، وهو ما تباعد عنه المشتغلون بهذا العمل حتى الآن والذين يشتغلون بهذا العمل يعلمون قبل غيرهم أنهم إنما يستعينون ببعض الأرواح الشريرة ويلبسون عملهم ثوبا علميا ويطلقون عليه اسما جديداً ليبعدوا عنهم الشبهات ويتمكنوا من أكل أموال الناس بالباطل تحت ستار من البحث الجاد والتفكير السليم .

أما الروح فهى من أمر الله ولا يعرف سرها إلا الله ، ولا يعقل أن هذا المجهول عن الناس أجمعين فى الدنيا يتمكن عاجز عن تدبير أمره باحث عن لقمة العيش التى يحفظ بها حياته ويتمكن من تسخير هذا الذى جهله هو والناس جميعاً بعد الموت يستقدمه لحضرته ويستنطقه أخباره"[3].

---

(١) أنظر اتجاه التفسير فى العصر الحديث ، مصطفى الطير الحديدى ص ٧٥ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيات ٨٨-٩٤ .

(٣) أنظر من القرآن وإليه ، سلسلة دراسات قرآنية تصدرها الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم بمصر ، ط٢ ، ص ٢٠١ .

وعن هذا الموضوع يحدثنا الدكتور محمد جمال الدين الفندى فيقول :

" ولقد نجم عن تعرف الناس على بعض معالم ما وراء المادة عن طريق الدين أن راحت طائفة منهم تجرى محاولات الاتصال بمن فى ذلك العالم بطريقة يسمونها (تحضير الأرواح) ، ونحن لا نستطيع أن نطلق على تلك المحاولات اسم (التجارب) لاختلافها فى جوهرها عن المألوف فى التجارب العلمية ، ولعدم إمكان تعميم إجرائها . وقد فهم خطأ ان بعض جامعات الغرب أقرت دراسة علم الأرواح ، ولكن الحقيقة أن ما وافقت عليه هو دراسات علم النفس على غرار ما هو قائم فى بعض جامعاتنا العربية .

ثم يقول :

وأغلب الظن إذا سلمنا ببعض تلك الاتصالات ثم محصناها نجدها إنما تتم عن عالم غير مادى حدثتنا عنه الأديان يسمى عالم الجن [1] .

وقال الشيخ طنطاوى بعد كلام طويل على السفر فى افتتاح بعض سور القرآن بالحروف المقطعة ، وذلك أثناء تفسيره لسورة (طه) ، قال : قوله تعالى : (الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى)[2] كقوله تعالى : (الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى)[3] ، وهذه فيها الطاء أولا والهاء ثانيا فى (أعطى) و(هدى) فكأنه يقال :

إن القرآن يراد منه دراسة سائر العلوم ، وسائر العلوم هى التى جاءت فى محاورة فرعون وموسى كما جاءت فى مقدمة السورة ، ويجمعها كلها (أعطى وهدى) وهذان يجمعها (طه) فإذن الطاء والهاء يرمز بهما إلى دراسة العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية ، وهكذا كل علم فى الدنيا لأنها كلها ترجع إلى هذه الجملة .

ثم تساءل قائلاً : لماذا نزل هذان الحرفان أى (طه) فى أول هذه السورة؟ وأجاب عن تساؤله : إعلم أن الله علم أن المسلمين سينامون نوماً مخزياً عميقاً فيكتفون من الدين بقشوره ويظنون أن الصلاة والزكاة وما

---

(١) الكون بين الدين والعلم ص ٢٤ .

(٢) سورة طه ، الآية ٤٩ .

(٣) صورة الأعلى ، الآية ٢ ، ٣ ،

بعدهما كافيات فتأخذهم الأمم وتذلهم وتسومهم سوء العذاب ، فأنزل الله هذين الحرفين ليجد المسلمون فى البحث عن السر فيجدون أنهما رمز لأن يقرأوا جميع العلوم ، وإذا كان النبى ﷺ يقال له : إن القرآن لم يقتصر على أنك تكثر الصلاة وتشقى بالتعب والنصب فى العبادة بل هو أيضا جاء ليخرج أمماً من جهلها ويعلمه فتصلى تبعاً لك وتقرأ العلوم .

كل هذه المعانى تؤخذ من (طه) وهناك أيضا (ها) فى قوله تعالى : (منها خلفناكم)[1] مكررة ثلاث مرات . وفى قوله (كلها) كل ذلك جاء بعد قوله (أعطى) . ومن عجب أن يجئ فى أسباب النزول أنه ﷺ كان يتعب ويشقى لكثرة الرياضة والتهجد والقيام على ساقه فقيل له ما ذكر كأنه يقال : ليست العبادة وحدها هى المقصودة بل هناك التذكرة وقد فهمتها فيما قدمناه أن المسلمين اليوم اكتفوا بالعبادة اللفظية فعليهم أن يتذكروا بدراسة العلوم كلها "[2].

هكذا يقول ، وهو كلام أشبه ما يكون بالأحاجى والألغاز .

وهكذا تتضح النزعة العلمية التى سيطرت على قلم المؤلف وقلبه واضحة جلية . وقد أخذ عليه كثرة الاستطراد والتوغل فى قضايا لا تستفاد من الآيات التى يفسرها ، وإنما جعل فيها منافذ ينفذ منها إلى مباحث أخرى صارت لبعدها عن موضوع الآية كأنها عناوين لمقالات هامشية .

---

(١) سورة طه ، الآية ٥٤ .

(٢) تفسير الجواهر ١٠:٦٤ .

آراء العلماء والباحثين فى تفسير الجواهر

رأينا من هذه الأمثلة القليلة أنه قد توسع فى مجال التفسير العلمى حتى أنه ليخيل للناظر فيه لأول وهلة أنه لا ينظر فى تفسير للقرآن وإنما ينظر فى دائرة معارف على القرآن تضمنت شرحاً للتاريخ والأدب والفلسفة والسياسة والاجتماع ، حتى أنه لم يخل من ذكر بعض النظريات الهشة للاستدلال بها على أن القرآن حق . وكثيراً ما يقع نظر القارئ لهذا التفسير على بحث فى ثنايا الكتاب فيعجب لذكر مثله فى تفسير القرآن . مما جعل بعض العلماء فى الماضى والحاضر لا يرضون عن مسلكه ويلومونه أشد اللوم ، كما يظهر ذلك واضحاً جلياً لمن يتصفح هذا التفسير.

ولذلك نجده فى ص ١٣٨ من الجزء الثانى عشر يقول :

" لما وصلت إلى هذا المقام اطلع بعض الفضلاء على هذا فقال : يا عجباً كل العجب نحن فى مقام أن الله له ملك السموات والأرض وليس له ولد ولا شريك وأنه خلق كل شئ فقدره تقديراً ، فما لنا ولأرسطاطاليس ونظام دوران الأرض ونظام النمل والحشرات والطيور، يا عجباً كل العجب أن الناس يقولون عنك : أنك مغرم بالبحث فى الحيوان والكواكب ، فأنت ترجع فى كل مقام إلى ما اعتدته بأدنى مناسبة ولأقل سبب . ويظهر أن مسألة التفسير وغيرها ترجع إلى أذهان المفسرين والمؤلفين لا إلى القرآن ، وإلا فلماذا نراك دائما تخوض فى مواضع لا علاقة لها بتفسير القرآن ، فأين الثريا من الثرى وأين معاوية من على؟ وكما قال آخر : سارت مشرقة وسرت مغربا ... شتان بين مشرق ومغرب . هذا نهاية الاعتراض .

وهو اعتراض وجيه يؤيده الواقع ، وليس للشيخ جواب سديد عنه. وقد أجاب عنه بجواب يقال فيه وفى الاعتراض البيت المتقدم .

وفى ص ٢٥٠ من الجزء الخامس عشر يقول :

فلما اطلع على هذا صاحبى قال : يا سبحان الله نعم هذا حسن ولكنه حسن فى ذاته، أما هذا التطويل فى التفسير فليس تفسيراً بل هو علم وخير لك أن تقول : هذا كتاب علوم لا كتاب لتفسير القرآن ، فقلت : بل هو تفسير ، فقال : قل ما تشاء ولكنى على رأيى ... الخ الحوار .

كما انتقده فى هذا المسلك الشيخ محمد رشيد رضا وإن لم يصرح باسمه حيث قال: " وقلده (الفخر الرازى) بعض المعاصرين بإيراد مثل

هذا من علوم العصر وفنونه الكثيرة الواسعة ، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولاً طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن "[١] .

كما انتقده حنفى أحمد – مع أنه من القائلين بالتفسير العلمى – فهو يقول – بعد أن أثنى على الجهود الطيبة التى بذلها من سبقوه :– وأستاذنا المرحوم طنطاوى جوهرى فى تفسيره الواسع للقرآن الذى أفاض وأسهب فيه وبين كثيراً من العلوم المختلفة التى تشير إليها الآيات الكونية لولا أنه – رحمه الله – قد زاد فى هذا البيان حتى جاوز حدود معانى الآيات ، ولم يحاول الجمع بينها فخفى بذلك كثير من حقيقة ومقدار العلم المنزل فيها[٢].

والخلاصة :

إن تفسير الجواهر يقال فيه – كما قدمنا – وكما قال الشيخ محمد حسين الذهبى : أنه موسوعة ضربت فى كل فن من فنون العلم بسهم وافر، مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الفخر الرازى فقيل : فيه كل شئ إلا التفسير بل هو أحق من تفسير الفخر لهذا الوصف وأولى به[٣] . وإن المانعين لهذا التفسير لاحظوا جنوح صاحبه بل ولوعه الشديد بإخضاع الآيات القرآنية وقهرها لكى تتحمل المثير من مسائل العلوم الكونية . وهذا تعسف ظاهر وميل بالقرآن عن مقصده الأسمى وهو سعادة البشرية فى الدنيا والآخرة[٤] .

---

[١] تفسير المنار ١:٧ (المقدمة)

[٢] التفسير العلمى للآيات الكونية ، ط دار المعارف ص ٧ .

[٣] التفسير والمفسرون ٣:١٨٣ .

[٤] اتجاهات التفسير فى العصر الحديث ، عبد المجيد المحتسب ص ٢٧٧ .

رأى فى الموضوع

لاشك فى إعجاز القرآن الكريم من كل الوجوه. وهناك تفريق بين الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، وما اشتهر بالتفسير العلمى للقرآن فالأول متفق عليه لا إنكار له لأنه لن يكون هناك تعارض بين حقيقة قرآنية وحقيقة علمية قطعية لأنهما من مشكاة واحة، فالكون خلق الله والكلام خلق الله.

لكن وقع الخلاف فى الثانى وهو التفسير العلمى للقرآن وذلك بأن نأتى بمسائل العلم التجريبى فنفسر بها دلالة الآيات كما سبق بيانه.

والملاحظ أن مسلمى هذا العصر يسترخون فى الدرس والبحث. ويستلقون على آرائكهم فإذا ما ظهرت مسألة علمية وخرجت من الفرضية النظرية لتدخل حيز الحقائق العلمية سارع بعضهم للقول بأننا نعرفها قبل ذلك.وأن القرآن الكريم أشار إليها. وقد تكون هذه الإشارة القرآنية إليها قريبة أو بعيدة.

والمسلك الأمثل والأنفع أن تكون للمسلمين مراكز أبحاث ودراسات تنكب على الموضوعات بعمق وأناة وأن تكون إشارات القرآن العلمية وكذلك صريح وصحيح السنة النبوية–هى طليعة ما يدرس ويبحث.

وهذا المسلك والمنهج يجعلنا نظفر بالنتيجة سلفاً فى بعض الحالات وتبقى معرفة الأسرار والتفصيلات. والتى ينبغى أن تكون هى محل الدراسة والبحث.

وبضرب المثال يتضح المقال:

١– فى قوله تعالى (بلى قادرين على نسوى بنانه) دلالة على تميز البنان بشئ أو أشياء ولهذا خص بالذكر، هذه هى النتيجة ويبقى التساؤل عن هذه الميزة.فقد عرفنا شيئا وباستمرار البحث قد نعرف أشياء.

٢– قال جل وعلا عن النحل وما يخرج منه من عسل (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) فالآية صريحة فى تقرير حقيقة أن العسل شفاء للناس فكان المفروض فى المسلمين أن تنصب دراساتهم وينكب الباحثون منهم فى معرفة أسرار وتفصيل ذلك، وبأيديهم النتيجة المقطوعة بها.فتنصرف الدراسات والأبحاث لمعرفة أى أنواع الأمراض التى يشفيها العسل، وأسلوب التناول والاستعمال

وأثر غذاء النحل واختلاف ألوانه فى الشفاء إلى غير ذلك من المسائل والتفصيلات بهذا. وهكذا فى آيات كثيرة أخرى.

٣- وفى الحديث الصحيح: (الكمأة من المن: وماؤها شفاء للعين)[١]

فهذا الحديث صحيح فى سنده صريح فى دلالته مقطوع بنتيجته، فقد ثبت أن للكمأة تأثير أكلينكى أساسى على المياه الزرقاء وتبين تحقق الشفاء الكامل لهذا المرض الذى ليس له علاج متاح للآن [٢].

لكن هل أجرت مراكز أبحاثنا ما يكفى من الدراسات للتعرف على خصائص هذا الماء ولأى الأدواء يكون فيه الشفاء؟

فلماذا يتأخر المسلمون عن مثل هذه الدراسات حتى إذا ظهرت فى غرب أو شرق سارعنا إلى القول بأن هذا عندنا مذكور فى كتاب ربنا وسنة نبينا. فأين كنا؟

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه- كتاب الطب – باب ما جاء فى الكمأة والعجوة ٤/٤٠١:

وقال عنه: هذا الحديث حسن صحيح.

(٢) التداوى بالأعشاب والطب النبوى / د . عبدالباسط محمد سيد صـ ٦٣ وما بعدها .

مراجع البحث

١- الاتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٢- الأعلام لخير الدين الزركلى – الطبعة الثالثة.

٣- الاكليل فى استنباط التنزيل – جلال الدين السيوطى.

٤- اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر الهجرى-د.فهد بن عبد الرحمن الرومى- الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م)

٥- اتجاهات التفسير فى العصر الراهن، د. عبد المجيد المحتسب ط ٣، عام ١٤٠٢هـ، نشر مكتبة النهضة الاسلامية، عمان.

٦- إحياء علوم الدين – أبى حامد الغزالى طبع مصطفى الحلبى.

٧- أسباب نزول للواحدى-تحقيق: السيد أحمد صقر. ط٣ عام ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٨- اعجاز القرآن-مصطفى صادق الرافعى ط ٨

٩- البحر المحيط للإمام أبى عبد الله محمد بن يوسف أبى حيان الأندلسى، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض.

١٠- تاج العروس-لمحمد بن مرتضى الزبيدى، ط١ ، بالمطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ.

١١- تفسير القرآن الكريم ، الشيخ محمود شلتوت ، دار القلم القاهرة.

١٢- التفسير: نشأته، تدرجه، تطور، أمين الخولى، ط١ ، عام ١٩٨٢م، دار الكتاب اللبنانى، بيروت.

١٣- التفسير العلمى للقرآن الكريم، دراسة وتقويما، عبد الله الأهدل- رسالة ماجستير ، مطبوعة على الآلة الكاتبة-كلية أصول الدين بالرياض.

١٤- التفسير العلمى للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، د.هند شلبى، تونس ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٥م.

١٥- التفسير الحديث ، محمد عزة دروزة، القاهرة دار إحياء الكتب العربية.

١٦- التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى، ط٢، عام ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
١٧- التفسير الكبير: فخر الدين الرازى، ط٢.
١٨- تفسير القرآن العظيم: الإمام ابن كثير، طبع عيسى البابى الحلبى.
١٩- جواهر القرآن، أبى حامد الغزالى
٢٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.
٢١- زاد المسير فى علم التفسير لبن الجوزى ط ١.
٢٢- دائرة المعارف الاسلامية، طبعة دار الشعب مصر.
٢٣- سنن الترمذى- ط٢
٢٤- زاد السير فى علم التفسير لابن الجوزى، ط١
٢٥- سورة الرحمن وسور قصار، د. شوقى ضيف.
٢٦- سنن الترمذى، ط٢ ...
٢٧- الفكر الدينى فى مواجهة العصر ، د. عفت محمد الشرقاوى، ط٢، عام ١٩٧٩، دار العودة، بيروت.
٢٨- كتاب العظمة لأبى الشيخ الاصفهانى-ط١ دار العاصمة. الرياض.
٢٩- الفلسفة القرآنية، عباس محمود العقاد ، دار نهضة مصر.
٣٠- لمحات فى علوم القرآن واتجاهات التفسير ، محمد الصباغ، المكتب الاسلامى.
٣١- فى ظلال القرآن، سيد قطب، ط١٢ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦، دار العلم بجدة.
ميزان الاعتدال للذهبى. دار المعرفة. بيروت.
٣٢- القرآن وقضايا الانسان، د. عائشة عبد الرحمن، ط٣ ١٩٧٨م ، دار العلم للملايين، بيروت.
٣٣- كتاب العظمة لأبى الشيخ الاصفهانى، ط١ ، دار اعاصمة، الرياض.

٣٤- كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد بن على الفاروقى التهانوى.
٣٥- لمحات فى علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد الصباغ، المكتب الاسلامى.
٣٦- مباحث فى اعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ط١، عام ١٤٠٨هـ، بدار المنار بجدة
٣٧- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
٣٨- ميزان الاعتدال، الذهبى، دار المعرفة، بيروت.
٣٩- معالم الشريعة الاسلامية، د.صبحى الصالح، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين.
٤٠- مناهل العرفان فى علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى.
٤١- مع الطب فى القرآن الكريم، د.عبد الحميد دياب، أحمد قرقوز، ط٨ عام ١٤٠٢هـ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق.
٤٢- المنهج الايمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم، د.عبد العليم عبد الرحمن خضر، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م، الدار السعودية، جدة.
٤٣- جريدة الشرق الأوسط، عدد ١٣٣٤٩٣.
٤٤- التداوى بالأعشاب والطب النبوى / د . عبدالباسط محمد سيد .
٤٥- اتجاه التفسير فى العصر الحديث د. مصطفى الحديدى الطير .
٤٦- من القرآن وإليه - سلسلة دراسات قرآنية - تصدرها الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم بمصر . ط ٢ .
٤٧- الإسلام والطب الحديث - د . عبدالعزيز اسماعيل .
٤٨- الكون بين العلم والدين - د . محمد جمال الدين فندى - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - الكتاب الرابع عشر - سنه ١٩٧٢ م .

٤٩- بين الطب والإسلام - د . حامد الغوابى - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ م .

٥٠- الغذاء والدواء فى القرآن الكريم - د. جمال الدين مهران ، د . عبدالعظيم حفنى صادق ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٢ م .

٥١- دروس سنن الكائنات د.محمد توفيق صدقى - ط ٣ ، ١٣٥٤هـ.

٥٢- الإعجاز البيانى والعلمى للقرآن ضمن مجموعة أحاديث للشيخ محمد متولى الشعراوى - ط دار الشروق ١٩٧٥ م .

٥٣- مع القرآن فى إعجازه وبلاغته- د . عبدالقادر حسين - مطبعة الأمانة - ١٩٧٢ م

٥٤- القرآن والعلم الحديث - أ / عبدالرازق نوفل - مطبعة النهضة - ١٩٨٥ م .

فهرس البحث

الموضوع

رقم الصفحة

مقدمة

نشأته

تعريفه

مذاهب الناس فى هذا النوع من التفسير

المعارضون

أدلة المعارضين وأسباب المعارضة

المؤيدون للتفسير بمكتشفات العلم التجريبى ومؤلفاتهم

أسباب قبول هذا التفسير

نماذج من التفسير العلمى المحمود

نماذج من التفسير العلمى المذموم

ضوابط للتفسير بمكتشفات العلم التجريبى

ملحق (١) الشيخ / محمد عبده والتفسير العلمى

ملحق (٢) الشيخ طنطاوى جوهرى والتفسير العلمى

آراء العلماء والباحثين فى تفسير الجواهر

رأى فى الموضوع

مراجع البحث